كلية الدراسات العليا– الآداب

دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية

ممارسات الاستعمار الصهيوني تجاه الأسرى والأسيرات الفلسطينيين\ات وتَعامُلِهم\ان مع تجاربهم\ان في الأسر في ظل تراجع الحاضنة الشعبيّة الفلسطينيّة

Zionist Colonial Practices against Palestinian Prisoners, and the Palestinian Experience of Captivity in Light of the Decline in Palestinian Communal Support

رسالة ماجستير مقدّمة من الطالبة

أسرار كيّال

إشراف: د. لينة ميعاري

جامعة بيرزيت– فلسطين

2018

كلية الدراسات العليا – الآداب

دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية

ممارسات الاستعمار الصهيوني تجاه الأسرى والأسيرات الفلسطينيين\ات وتَعامُلِهم\ن مع تجاربهم\ن في الأسر في ظل تراجع الحاضنة الشعبية الفلسطينية

Zionist Colonial Practices against Palestinian Prisoners, and the Palestinian Experience of Captivity in Light of the Decline in Palestinian Communal Support

أسرار كيّال

تاريخ النقاش: 2018/6/20

أعضاء لجنة النقاش

د. لينة ميعاري، رئيسة اللجنة

د. إبراهيم مكاوي، عضواً

د. سعيد شحادة، عضواً

قدِمَت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج علم النفس المجتمعي من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين

BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الدراسات العليا- الآداب

دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية

ممارسات الاستعمار الصهيوني تجاه الأسرى والأسيرات الفلسطينيين\ات وتَعامُلهم\ن مع تجاربهم\ن في الأسر في ظل تراجع الحاضنة الشعبية الفلسطينية

Zionist Colonial Practices against Palestinian Prisoners, and the Palestinian Experience of Captivity in Light of the Decline in Palestinian Communal Support

أسرار كيال

تاريخ النقاش: **2018/6/20**

أعضاء لجنة النقاش

د. لينة ميعاري، رئيسة اللجنة.........................

د. إبراهيم مكاوي، عضوا.........................

د. سعيد شحادة، عضوا.........................

قدِمَت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج علم النفس المجتمعي من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين

الإهداء

إلى مَن "استلانوا ما استوعره المُترفون، وأنِسوا بما استوحَش مِنه الجاهلون، صَحِبوا الدُنيا بأبدانٍ أرواحها معلّقة بالمَحّلِ الأعلى"*..
إلى قلوب أسرانا وأسيراتنا البواسل وإلى عائلاتهمان وذويهمان، يُقدّم إهدائي الأوّل والأخير خجولًا متواضعًا أمام بَذْلِكُمانّ.

حين تجمع إنسانة واحدة وطنًا بلاجئيه وعُمّاله وأسراه وأهالي أسراه وذرّات تُرابه كاملةً، فتغدو بوصلةً. بوصلة يرافق صوتها ذهنك قوتًا وزادًا في وعر الطريق، ويدّلك شامخًا إلى الطريق الطريق. الأم الجميلة والأسيرة السابقة روضة عودة.

أجمل نساء الأرض وأَحَبَّهن إلى الحياة برغم الصعاب، أُمي. دامت ضحكتك منارًا.

أُختاي، هديّة الحياة لي، وأغلى ما فيها.. أُحِبّكُما لو تعرفانِ كم.

أحبائي ورفاق دربي؛ رفاقي في حركة أبناء البلد، موفق وعبدالله ومحمود ومحمد.. دُمنا معًا على الدرب.

أخاي وصديقاي الأجمل رفعت وحمّوده، أشكر دعمكما جزيلًا، دُمتما بكُل خير.

* من أقوال الإمام عليّ بن أبي طالب.

شكر وعرفان

حين يغدو العطاء إنسانًا ومُعلّمًا، تكونون أساتذتي الأفاضل؛

الدكتورة لينة ميعاري والدكتور إبراهيم مكّاوي والدكتور سعيد شحادة، أشكر مجهودكم جزيلًا وأقدّر جُلّ التقدير ما قدّمتم وتقدّمون من أجلي ومن أجل طلبة ماجستير علم النفس المجتمعي.

دُمتم بكُل خير.

قائمة المحتويات

المُلخّص: ..... ح
Abstract: ..... د

الفصل الأول: إشكالية الدراسة والمنهجية 1
الإطار النظريّ للبحث: 5
الإشكالية: 7
أسئلة البحث: 8
الافتراضات– نقاط الإنطلاق: 8
الاصطلاحات أو الكلمات المفتاحيّة للبحث: 9
أهمية البحث: 11
منهجية البحث: 11
العينة: 13

الفصل الثاني: خلفية نظرية 16
المبحث الأول: عن فعل الأسر 17
عن فعل الأسر في السياق الاستعماري الصهيوني لفلسطين: 20
المبحث الثاني: عن تراجع الحِسّ النفسي المجتمعي في المجتمع الفلسطيني 23
الحِس النفسي المجتمعي (sense of community): 23
عن تراجع الحاضنة الشعبية في المجتمع الفلسطيني: العوامل المختلفة والتحوّلات 25

الفصل الثالث: الممارسات الاستعمارية من قبل إدارة مصلحة السجون وجهاز المخابرات 33
1) افقاد الشعور بالسيطرة 35

عدم القدرة على اتخاذ القرار أو السيادة على تقرير الاحتياجات الأساسية: 37
2) حرمان الحواس والحرمان من الشعور بالظروف المحيطة: 40
3) تحويل الشأن الجمعي لشأن فردي: 43
الامتيازات المادية أو الفردية:..... 45
سحب المكانة السياسة للأسرى\ الأسيرات من المناطق المحتلة عام 1948:..... 47
الحرمان من تلقي العلاج للأسرى المرضى أو المصابين: 53
الابتزاز الجنسي: 54
زيارات الأهل كأمرٍ معذّب للأسرى:..... 50

الفصل الرابع : **تعامل الأسرى مع ممارسات الاستعمار خلال تجربة الأسر**..... 56
1) مقابل تحويل الاستعمار للمعركة من جمعية إلى فردية: 56
عن التعامل مع سحب المكانة "السياسية" لنضال الأسرى وتحويلهم إلى سُجناء جنائيين:. 62
عن التعامل مع امتناع إدارة مصلحة السجون عن تقديم العلاج للأسرى والأسيرات: 63
2) عن التعامل مع محاولات إفقاد السيطرة:..... 64
3) عن التعامل مع ممارسة إفقاد الحواس: 68
عن التعامل مع العزل الإنفرادي: 69
استذكار الأغاني الثورية: 70

الفصل الخامس: النتائج وارتباطها بالعوامل الأربعة 74
النتائج:..... 74
علاقة النتائج بالعوامل الأربعة : 92

الفصل السادس: التوصيات 129
الفصل السابع: سيرورة كتابة الرسالة الصعوبات أو المعيقات التي واجهها البحث 139
في الجانب الشخصي لتجربة الباحثة: 140
عن الصعوبات والمعيقات لإجراء البحث وما يسّر إتمامه:..... 142

المراجع:..... 144
الملحق: 152

المُلخّص:

يُسلّط هذا البحث الضوء على تجارب الأسرى والأسيرات السياسيين\ات داخل سجون الاستعمار الصهيوني، ويبحث ممارسات الاستعمار – المتمثل بإدارة مصلحة السجون وجهاز المخابرات– المُوَجّهَة تجاه الأسرى والأسيرات الفلسطينيين\ات بهدف إذلالهم\ن، منذ لحظة الاعتقال وحتّى لحظة إطلاق سراحهم/ن.

كما ويسعى البحثُ لدراسة وتحليل تجارب الأسرى والأسيرات في التعامل مع هذه الممارسات، في السياق المُجتمعي الحالي للشعب الفلسطيني، أي في ظِلّ التغيّرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي لحقت به في الفترة اللاحقة لتوقيع اتفاقيّة أوسلو، والتي شهد إثرها تراجُعًا للحاضنة الشعبية الفلسطينيّة.

ينطلق البحث من توجه علم النفس المجتمعي التحرري بهدف الوقوف على الخبرات المُكثَّفة التي راكمها الشباب الفلسطيني– كأبناء شعبٍ مُستعمَرٍ– خلال فترة أسره وتعرضه لممارسات الاستعمار المباشرة، ساعيًا للمساهمة في بناء القدرات النفسية للفرد في إطار مجتمعه للتَّحرُّرِ من ممارسات وآليات قمعه.

يعتمد البحث على منهج البحث الكيفي ويتبنى منهجية النظرية المجذرة (Grounded Theory)، حيث تمّ في إطار البحث مُقابلة 24 أسيرًا وأسيرة فلسطينيًّا\اةً سابقًا\اةً، من مناطق فلسطينية مختلفة: الضفة الغربية، والقدس، والأراضي المحتلة عام 1948. وقد تم استقاء مضامين ومحاور البحث مِمّا أملته هذه المقابلات وتِبعًا لرؤيةِ ولتعريفاتِ المُقابَلين\ات. وتمت الاستعانة كذلك بالنظريات والأدبيات من علم النفس المجتمعي التحرُّري، ومن علم

النفس عامةً كإطار نظريّ استرشادي لتحليل ولفهم هذه المحاور، ولتطوير مفاهيم نابعة من المقابلات.

وقد برز في نتائج البحث أهمية دور كُلٍّ من رمزيّة الأسر والحِسّ النفسي المجتمعي كمسؤولية وبَذل للمجموعة وليس فقط كتلقٍ للدعم منها، في تعامل الأسرى والأسيرات مع تجاربهمان في الأسر.

Abstract:

This research highlights the experiences of political prisoners detained in Zionist colonial prisons. It examines colonial practices perpetrated by the prison service management and intelligence agency aiming to humiliate Palestinian prisoners, from the moment of their arrest till the moment of their release.

The study also aims to examine and analyze the experiences of Palestinian prisoners in dealing with these practices within the current social context, and the economic, political, and social transformations following the signing of the Oslo Accords, which brought about a noticeable decline in Palestinian communal support.

The research emerges from the liberation and community psychology approach, focusing on the intensive experiences accumulated by Palestinian youth as colonized people, directly subjected to colonial practices under detainment. This approach aims to contribute to building the psychological capacities of the Palestinian individual within one's community, while pursuing liberation from oppression.

The study adopts a qualitative research method and the grounded theory approach. Interviews were conducted with 24 former Palestinian prisoners from different locales: the West Bank, Jerusalem, and the territories occupied in 1948. These interviews guided the main research topics and issues, based on the interviewees' own visions and personal definitions. Literature from the field of psychology, liberation and community psychology in particular, constituted the theoretical frame that guided the analysis and

understanding of these topics, as well as for conceptualizing the main content of the interviews.

The research outcomes highlight the substantial and significant role played by each: symbolism related to captivity experience, as well as the sense of community as responsibility, and not only as a passive reception of communal support; in the prisoners' engagement with their experiences of captivity.

الفصل الأول

إشكالية الدراسة والمنهجية

تعكس تجارب الأسرى ومؤلفاتهم، بالإضافة إلى الأدبيات الشعبية للشارع الفلسطيني منذ بدء الانتداب البريطاني فثورة البُراق عام 1929 وحتّى السبعينيات من القرن الماضي، ممارسةَ إجراءاتٍ تعذيبيّة مِن قِبل جيش الانتداب البريطاني وجيش الاستعمار الصهيوني من بعده، والتي تهدِف إلى إشعار الأسرى بأن تضحياتهم ذهبت سُدًا، وإن التجربة المُقاوِمة التي خاضها كُلٌّ منهم لم تَجلِب له سوى الذُّل والإهانة.

فتعرض دراسة عابد الزريعي (2012) في الأدب الشعبي الفلسطيني، أمثلة واضحة لهذا:

".. خرجت من السجن هتافات تُعلن عدم نجاح محاولات القهر هذه مع ظهور عامل رفض الذُّل تكرارًا. مثلًا: 'لا تقولوا ياعالم اذا انسجنا ذلينا.. نفذنا العملية والقنابل في ايدينا.. ولا تقولوا يا عالم اذا انسجنا كلينا'... فعَلت من الشارع صرخة في وجه السجان ليكف عن ممارسات القهر والذل بحقّ الأسرى الأبطال: 'لا تهين الراقي يا سجن السبع لا تهين الراقي ابو البدلة الكاكي والسير الزرد ابو البدلة الكاكي'... ".

وتبيّن هذه الأدبيات الشعبية في المقابل، تضافُرَ الشارع الفلسطيني مع الأسرى في سجون الانتداب البريطاني ومن ثم سجون الاستعمار الصهيوني، وتصف بمعظمها انتصارات وبطولات الأسرى وصمودهم أمام بطش وإذلال السجان (الزريعي، 2012).

على اعتبار الأدبيات الشعبية لمجتمعٍ ما مؤشرًا لواقعه وللحالة الشعبية السائدة فيه خلال ذات الفترة الزمنيّة، فإن الأدبيات السابق ذكرها في السياق الفلسطيني تُعبّر حتمًا عن أن ممارسات الاستعمار قد سعت إلى تسبيب الذُّل والأذى في نفوس الأسرى. يبرز ذلك من خلال الظهور المتكرر لموضوعة الذّل متصاحبة مع موضوعة الأسر في هذه الأدبيات. وتبرز في المقابل أهمية التفاف الحاضنة الشعبية حول الأسير ودورها في رَدّ الشعور بالذُل عن تجربته وبالتالي صيانة تضحيته وحثّه على استكمال دوره. ويظهر ذلك جليًّا في رسائل وكتابات للأسرى[1] وفي مقابلات قد تم أجراؤها مع أسرى محررين قدامى.

بحسب ما توضحه تجارب وشهادات العديد من الأسرى من خلال المقابلات الأوليّة، والأمر الذي تحاول الباحثة الخوض فيه واستيضاح معالمِهِ من خلال هذا البحث، فإن ممارسات الاستعمار تجاه الأسرى الفلسطينيين، وإن تغيّر طابِعُها، بقِيَت بذات الدوافع– لتسبيب الذُّل والتي لا زالت مُتّبعة حتّى يومنا هذا.

تحاول هذه الرسالة أن تعرضَ أساليبًا يهدف من خلالها الاستعمار الصهيوني وبواسطة سياسات سُلطة مصلحة السجون، تسبيب أذىً أو تخليفَ ضررٍ معنوي بعيد الأمد يتعدّى ما تدّعي بأنه ضروريّ بغرض "حِفظ النظام". أو كما يُعبّر عنها الأسير وليد أبو دقّة بأنها محاولاتٍ لـ"صَهر الوعي" بوصفه للحالة على أنها:

[1] راجعوا الملحق: المعطيان 1 و2.

"اعتبارا من أن الأسرى هم طليعة الفئة المناضلة من الشعب الفلسطيني وبالتالي إعادة تشكيل وعيهم وتشويه تجربتهم يعني المسّ في البنية التحتية المعنوية لعملية النضال الوطني" (أبو دقّة، 2010).

يسعى البحث في إطاره العام لفهم تعامل الأسرى مع هذه الممارسات، والإجابة عن السؤال: ما هو تأثير ممارسات الاستعمار تجاه الأسرى والأسيرات الفلسطينيين\ات على حياتهم خلال فترة الاعتقال والأسر وكيف تعاملوا\ان بدورهم\ان مع هذه الممارسات؟ ذلك في السياق الحالي للقضية الفلسطينية وفي ظِلّ الواقع السياسي والاقتصادي الحالي.

تأتي محاولة فهم أثر هذه الممارسات وكيفية تعامل الأسرى معها، في ما تلى بداية ظهور تبعات اتفاقية أوسلو على أرض الواقع، وما ترتَّبَ عليها من التبعات الاقتصادية والاجتماعيّة، التي أدت إلى تراجع في الحاضنة الشعبية الفلسطينية؛ وظهر ذلك من خلال انغماس العائلات الفلسطينية وأفرادها في الهَمّ الشخصي والعائليّ الضيَّق، وجعلتهم أكثر ابتعادًا عن الهمّ الجماعي والسياسي، وذلك في ظل تنسيق السلطة الفلسطينية مع الاستعمار أمنيًّا وسياسيًا، إضافةً إلى التحوّل الحاصل على المجتمع المدني الفلسطيني وعلى طابع الفصائل الفلسطينية (Samarah, 2011).

كما ويسعى هذا البحث لفحص دور العوامل التالية ودخولها في تعامل الأسير مع تجربته في الأسر:

1) عوامل شخصية للأسيراة (كفرد)، إضافة إلى تركيبة البيئة الضيقة التي يعيش فيها (كالعائلة الضيقة والممتدّة، أصدقاء مقربين).
2) رمزية الأسر لدى الأسيراة: أي مفهوم تجربة الأسر والمعنى الذي تحمله في ذهن الأسيراة. قد يكون لفعل الأسر– أي إبعاد الشخص من حياته العادية وحجزه في إحدى غرف مبنى السجن، معانٍ مختلفة قد تختلف باختلاف الأفراد؛ في حين قد يراها البعض كعقوبة، قد يراها آخرون كنهاية للحياة، وآخرون كمعركة جديدة في ساحة نضال جديدة، أو كعمل بطوليّ، أو... غيرها الكثير.
3) التنظيم السياسي الذي ينتمي\ تنتمي له (انتمى\ات له تحديدًا في فترة الأسر) أو التنظيم الذي اختار\ات أن يعيش عنده في فترة الأسر. ذلك انطلاقًا من أن الفترة التي أُسر فيها الأسرى المقابلين هي فترة التي كانت (وفي جزء منها لا زالت) الأقسام مُقسَّمة بحسب نظام معيشة تفرضه التنظيمات السياسية كُلّ في القسم المسؤول عنه.
4) النوع الاجتماعي: كون الأسيراة فتاة\ امرأة أو شابًا\ رجُلًا. يحاول هذا البند فهم الاختلافات، إن وُجدت بين تجارب الأسرى الفلسطينيين كشُبّان والأسيرات الفلسطينيات كشابات، بدءًا من فهم الاختلاف بالممارسات تجاه النوعين وحتّى طريقة التعامل معها.

بحيث تم اشتقاق العوامل الثلاثة الأولى: الدائرة الشخصية، رمزية الأسر، والتنظيم السياسي في فترة الأسر، من مضمون المقابلات، والتي وُجِد لدورها تأثير في تعامل الأسرى مع ممارسات الاستعمار خلال تجاربهم في الأسر. أمّا العامل الرابع، عامل النوع الاجتماعي فقد تمّ إفتراضه لكون الأسرى من نوعين إجتماعيين مختلفين، أي شُبّانًا وشاباتٍ، وذلك

لمحاولة فهم إن كان هنالك أثر أو فرق لكون الأسير شابًا أو شابّة ورجلًا أو أمرأة، في تعاملهاا مع التجارب المختلفة خلال الأسر.

لتحقيق ذلك، أقابل في إطار هذا البحث أسرى سابقين وأسيرات سابقات والذينا اللواتي كانت فترة أسرهمان بعد انتفاضة القدس والأقصى، أي تلَت العام 2002. يعيش الأسرى والأسيرات في مناطق مختلفة في الضفة الغربية وفي القدس وفي الأراضي المحتلة عام 1948. وتتنوع بيئاتهم الاجتماعية بين قرية ومدينة ومخيّم. كما ويأتون وتأتينَ من خلفيات أيديولوجية وسياسية مختلفة أو اختاروا التواجد (المكوث أو العيش) في السجن مع أحد التنظيمات: فتح أو حماس أو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. ويؤدون اليوم أدوارًا اجتماعية ومهنية مختلفة: طلابًا وموظفينات وعاملينات وعاطلينات عن العمل.

الإطار النظريّ للبحث:

يحاول هذا البحث النظر في قضية الأسر في المجتمع الفلسطيني وتفكيكها من منظور علم النفس المجتمعي التحرُّري. فترى الباحثة في الشعب الفلسطينيّ شعبًا واقعًا تحت الاستعمار، وفي فعل الأسر في ظل هذا الاستعمار أداةً لإحكام القبضة على مَن يرفض هذا الاستعمار أو حتّى جزءًا من ممارساته من أبناء الشعب المُستعمَر، لاستكمال الممارسات الاستعمارية والتوسعيّة؛ كعمليات المحو والنهب الممتدة منذ بداية الاستعمار الصهيوني لأرض فلسطين، والذي بدأ يأخذ طابعه الرسميّ كدولة، في العام 1948.

ترى الباحثة نفسها جزءًا من هذا الشعب وتحاول من خلال إجراء هذا البحث، الوقوف على التجارب والخبرات المُكثَّفة التي راكمها الشباب الفلسطيني خلال فترة عزله عن بيئته الطبيعية وتعرضه لممارسات الاستعمار المباشرة. بحيث يهدف علم النفس المجتمعي التحرري إلى بناء القدرات النفسية للفرد في إطار مجتمعه للتَّحرُّرِ من ممارسات وآليات قمعه (Burton, 2012).

كما يحاول هذا البحث أيضًا أن "يرفع صوت" وتجارب هؤلاء الأسرى الفلسطينيين والأسيرات الفلسطينيات من الشباب، بحسب منظور علم النفس المُجتمعي التحرّري، كونهم يواجهون قمع المُستعمر لكونهم فلسطينيين، ويضاف إليه أنه قد تمّ استهدافهم بقمع مباشر لقيامهم بفعل نضالي أو مقاوم لِذات الاستعمار. يجري هذا في سياق الوضع السياسي الراهن فلسطينيًا؛ أي في ظلِ تغييبٍ لصوتهم كشباب، وتحييدهم من مواقع صنع القرار الفلسطيني بالرغم من تحقيقهم لانتصارات كبيرة وعديدة قبل وخلال وبعد تجربتهم في الأسر (Orford, 2008).

وبذلك لا يسعى هذا البحث لرصد "الانتهاكات" الاستعمارية "التعذيبية" ضدهم بشكل موضوعي أو مُحايِد أو بحسب مفهوم القانون الدوليّ للتعبير "انتهاك" أو "تعذيب" بل بحسب تجربتهم هم وصياغتهم أنفسهم لهذه الممارسات الاستعمارية؛ ما الممارسات التي حملت بنظرهم نيّة لأذيّتهم أو تعذيبهم أو التي تعدّى استخدامها الهدف الأساس والمعلن عنه؟ ماذا عَنَتْ لهم هذه الممارسة؟ وكيف تم التعامل معها أو مجابهتها؟

إن إعادة صياغة الأسرى والأسيرات لممارسات الاستعمار من وجهة نظرهمان هم وبحسب

روايتهمان وتجربتهمان هم، بعيدًا عن التقارير الحقوقية التي تُعدد الانتهاكات بحسب ما يمليه القانون الدولي، هو أمر بالغ الأهمية. فعلى الرغم من أن معظم الدراسات التاريخية والانسانية تثمن النصوص المكتوبة والمستندات والتوثيقات وفق المعايير المُقررة، فإن مثل هذه الدراسات في الأساس تعكس رؤية الباحثين والمؤرخين والأكاديميين من مواطني الدول المُهيمنة والمُستعمِرة للواقع وبحسب معاييرها. مما يكتم من صوت المجتمعات المقهورة ويمنعها من إيصال تجاربها مكتوبةً. ويؤكد ذلك بول كونيرتون في كتابه "كيف تتذكر المجتمعات" (How societies remember) . ويضيف كونيرتون أن العديد من الباحثين يدرك اليوم أن التاريخ يوجد في تجربة الجسد من خلال الممارسات المرتبطة به .(Connerton,1989)

الإشكالية:

يتم عزل الأسرى الفلسطينيين خلال سنوات أسرهم، عن بيئتهم الطبيعية في محاولة للاستفراد بهم وتسليط ممارسات الاستعمار المباشرة عليهم، في تجربة مُكثّفة من القمع تهدف لإقناعهم بأن فعلهم النضالي وتضحيتهم كانا وذهبا سُدًا.

لقد تشبّث الأسرى الفلسطينيين كما يظهر في كتابات سابقة للفصائل السياسية وفي مراجعة للأدب الشعبي، بالالتفاف الشعبي والواقع السياسي والثبات الفصائلي (فَنّون، 1982) الذي أعطاهم دفعة جِديّة لتحويل تجربة الأسر لساحة نزال بين المُستعمِر (السجان) والمُستعمَر (الأسير) وللتعبير عن النهج الثوريّ والذات الثوريّة في هذا النزال (Meari, 2014) .

تكمن المشكلة في استمرار الممارسات الاستعمارية التعذيبية، ولو بطابعٍ مختلفٍ يركز على المساس بالنفس عوضًا عن الجسد، لكن ذلك مع تغيُّر جِدّيّ في الواقع السياسي والاجتماعي الفلسطيني من بعد ظهور اسقاطات اتفاقية أوسلو (Samarah,2012).

وتنبع من هنا الأسئلة التي يحاول البحث الإجابة عنها.

أسئلة البحث:

1) ما هي الممارسات الاستعمارية التي شعر الأسرى بأنها سعت لتسبيب الأذى الجسدي أو النفسي لهم أو لإذلالهم؟

- ماذا عَنت هذه الممارسات للأسرى\الأسيرات؟ ماذا شعر في حينها؟

2) كيف تمّ التعامل مع هذه الممارسات؟

3) ماذا تعني اليوم تجربة الأسر للأسرى الفلسطينين والأسيرات الفلسطينيات؟

- ما هي أبعاد تأثير هذه التجربة على الأسرى والأسيرات من وجهة نظرهم\ن؟

- هل أثّر تراجع الحاضنة الشعبية الفلسطينية سلبًا على نظرة الأسرى لتجاربهم؟

الافتراضات- نقاط الإنطلاق:

- اختلاف في توجه المجتمع الفلسطيني نحو القضايا العامة التي تعني الشعب الفلسطيني ومنها قضية الأسرى السياسيين، ذلك تبعًا لتغير الخارطة السياسية والاقتصادية ما بعد

تجلي نتائج أوسلو في الواقع. وبالتالي ترافق التغيير في أساليب التعذيب واتجاهها نحو نفسية الإِسير مع تغيير في "نفسية المجتمع الفلسطيني" نحو القضايا الجمعية.

- تبتعد ممارسات الاستعمار في الأسر والتحقيق مع الأسرى الفلسطينيين عن كونها عقابيّة أو احترازيّة كما يدّعي. بل، لا زالت تهدف من خلال سياسات التعذيب التي يمارسها بحق الأسرى الفلسطينيين، إحداث ضرر بعيد الأمد بهدف تفريغ الأسيراة من محتواه الفكري المقاوم أو بمعنى آخر إفقاده لمعنى الرصيد النضالي الذي أوصلهاا لتجربة الاعتقال. عمليًا تأخذ هذه النقطة هدف الاستعمار منطلقًا، وليس تأثيره فعليًا على الأسرى. إن جانب مدى تأثير هذه الممارسات على الأسرى هو جانب قيد الفحص في هذه الرسالة.

الاصطلاحات أو الكلمات المفتاحيّة للبحث:

أسير فلسطيني: في كُل مرة يتم فيها استخدام التعبير "أسير فلسطيني" يُقصد بها، أسيرًا لدى الاستعمار الصهيوني، أي لدى سلطات السجون الاستعماريّة "الإسرائيلية"، والتي قامت باعتقالهم أو أسرهم لأسباب سياسيّة وليست جنائية. ويُقصد بكونه فلسطينيًا، أنه من المعازل السياسية المختلفة على امتداد أرض فلسطين التاريخية، الأراضي المحتلة عام 1948، القدس والضفة الغربية (باستثناء غزّة لتعذّر إجراء مقابلة مباشرة).

الحاضنة الشعبية: أو الالتفاف الشعبيّ، ويُقصد به مدى تضافر الشعب الفلسطيني مع قضية الأسرى السياسيين، وكونها جزء من أولوياتهم النضاليّة. كون المجتمع المحلي مجتمع

حاضن لفعل الأسير المُقاوِم قبل الأسر، مُتجاوب معه ومع تجاربه النضالية خلال فترة الأسر، مُحتضن له بعد خروجه من الأسر (من ناحية علاقات اجتماعية، فرص عمل، وما إلى ذلك..) والتي تتطرق إليها الأدبيات ووصفها الأسرى في المقابلات الأولية كدافع ومُحرِّض أساس في تحدّي وقع ممارسات السجان.

ممارسات تعذيبية: أو ممارسات تُسبب الأذى، ويتم تحديد هذه الممارسات بحسب تعريف الأسرى أنفسهم، على أنها الممارسات التي يعتقد الأسرى بأنها مورست حينها بهدف تسبيب أذىً نفسيًا أو جسديًّا وذُلًّا للأسير.

الدور الاجتماعي (الجندر): المواصفات والأداء الاجتماعي الذي يتوقعه المجتمع من شخص لكونه ذكر أو أنثى، وكيف يتعامل المجتمع مع أفراده بناءً على هذه الأدوار.

رمزية الأسر: كيفية إدراك الأسير لفعل الأسر ولتجربة الأسر وماذا ترمُز أو تعني لَهُ، من خلال الرموز المرافقة لفهمه لها، وقد لا تتعلق هذه الرمزية بالأسير ذاته فقط بل بما يستقيه من رمزية الأسر في سياقه المجتمعي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يحاول النظر في تعريف الأسرى الفلسطينيين ما بعد أوسلو لتجربتهم. ما الآثار التي تركتها فيهم هذه التجربة وأي مفهوم لديهم عن تجربتهم في ظل السياق السياسي والمجتمعي الحالي– وفي ظل هذا التراجع للحِس النفسي المجتمعي الفلسطيني، مما قد يبعد المجتمع الفلسطيني عن التضافر المجتمعي مع قضية الأسرى، وهل أثّر هذا التراجع سلبًا على تقييمهمان لتجاربهمان في الأسر؟

يتبنّى البحث تعريفات الأسرى، وقراءتهم لتجاربهم على أنها المرجع الأساس ويحاول تحليل رؤيتهم هذه بالرجوع إلى أدبيات ومرجعيات نظرية. يرى البحث أولوية في إيصال صوت الأسرى لشعبهم.

كما وينظُر البحث إلى الأسير الفلسطيني والأسيرة الفلسطينية كونهم فاعل وليس فقط مفعولًا بهمانّ سلبيين قد تلقّوا ما أملته عليهم التجربة مُسلِّمين بها. بَل، يحاول فهم الجانب الفاعل للأسير في التعاطي مع معطيات الأسر.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث المنهجية البحثيّة الكيفيّة ويستخدم أساليب متعددة تشمل: المقابلات الفردية المعمقة كآلية أساس، ويقدّم تحليلًا لمضمون هذه المقابلات. كما ويستعين بتحليل كتابات الأسرى ومقالاتهم أو رسائلهم التي لاقت طريقها إلى خارج جدران السجن.

لمحاولة فهم واقع الأسر والقضايا التي تشغل بال الأسرى الفلسطينيين المحررين وقبل تعيين إشكالية البحث المُحدّدة، تمّ إجراء مقابلات أوّلية مع 10 أسرى، وهي مقابلات شبه مفتوحة تحدّث خلالها الأسرى بشكل حُرّ عن تجاربهم في الأسر وقد تمّ سؤالهم بعض الأسئلة المعلوماتية البسيطة حين لم تَرِد بشكل تلقائي.

لتحليل مضامين هذه المقابلات يراجع البحث نظريات وأدبيات في علم النفس وعلم النفس المجتمعي وإصدارات وأدبيات كُتِبت حول الموضوع أو تتعلق به.

من بعد إجراء هذه المقابلات استطاعت الباحثة أن تبلور فكرة واشكالية البحث بصورة أدّق، لأنها هدفت من خلال هذا البحث إلى عَكْس ما يهُم الأسرى المحررين، بحيث يأتي كل ما سبق بحسب النظرية المُجذّرة (Grounded Theory). والتي بحسبها، يتم بحث إشكاليات ومحاور ومضامين البحث، بحسب ما تُمليه اهتمامات المُجتمع المبحوث، بينما تتم الاستعانة بالنظريات العلمية والأدبيات بهدف تفسير هذه المضامين.

تسري طريقة التحليل هذه على كافة الفصول وعلى تقسيم محاور البحث، حيث نتج هذا التقسيم بناءً على ما أملته مضامين المقابلات والموضوعات التي طرحها الأسرى. على صعيد استكمال المقابلات: فهي مقابلات مفتوحة تطلب إلى الأسرى والأسيرات التحدّث عن تجربتهمان في الأسر، وتسأل فقط في سياق ذِكرهم لأي من ممارسات الاستعمار من خلال جهاز المخابرات أو إدارة مصلحة السجون: "ماذا شعرت حينها؟"، " ما الذي جعلك تتحمل هذا؟ وكيف تعاملت حينها؟" (مع العلم أن التعامل قد يكون أيضًا من خلال صيانة

الذات في فكرة معيّنة أو مساعدة الذات على التحمل لهدف معيّن)، "ما الأثر الذي تركه ذلك فيك"؟.

كما يتم السؤال في نهاية المقابلة إن لم يتم التطرق لذلك بشكل عفوي وتلقائي:

"ماذا تعني لك هذه التجربة؟"

تمت من بعدها مراجعة للأدبيات الشعبية والأكاديمية المتعلقة في الموضوع، بحيث جرى التوسع والاستفاضة في هذه الأدبيات من أجل تحقيق فهم أفضل وتحليل أكثر شمولية لمضامين المقابلات.

يتم أقتباس أقوال الأسرى والأسيرات خلال النص من خلال الإشارة إلى النوع الاجتماعي، العمر والمنطقة الجغرافية لكل منهمان، من دون ذِكر اسم الأسيراة. تتم الإشارة إلى مدة الأسر حين تقتضي الحاجة لذلك ويكون هذا المعطى ذات صلة.

العينة:

تشتمل عيّنة البحث على مجموعة من الأسرى المحررين والأسيرات المُحرّرات من جيل الشباب، الذين خاضوا تجربة الأسر وتحرروا بعد العام 2002، أي بعد انتهاء الانتفاضة الثانية، وهي عينة قصديّة تتكوّن من 24 أسيراة محرراة ينتمون إلى فصائل سياسية مختلفة ومن مناطق جغرافيّة مختلفة. تم الوصول للاسرى من خلال معرفة شخصية تربط الباحثة

بعدد من الأسرى، وتم الاستدلال من خلال الأسرى أنفسهم على عدد آخر من الأسرى (أسلوب كرة الثلج)، كما وتمت الاستعانة بمؤسسة الضمير[2] كذلك.

تم اختيار العينة من مناطق جغرافية مختلفة في داخل الضفة الغربية والقدس والأراضي المُحتلّة عام 1948، ولم تشمل العيّنة أسرى وأسيرات من قطاع غزّة، وذلك لتعذّر عقد لقاءات فعلية– أي وجهًا لوجه– مع الأسرى المحررين الغزّيين، تِبعًا للحصار المفروض على القطاع.

وقد تم التركيز في المقابلات على جيل الشباب تحديدًا، بهدف إعلاء صوت هذه الشريحة المهمّشة من مواقع صنع القرار الفلسطيني، والمقموعة والمستهدفة بشكل مباشر من قبل الاستعمار الصهيوني، لأنها الشريحة التي تحمل فعليًا روح الثورة وتملك الطاقة لخوضها. إن استهداف شريحة الشباب في المجتمع الفلسطيني ليس بالجديد، فقد ظهر أيضًا قُبيل النكبة، في الثلاثينيات من القرن الماضي، فقد كان

> "واحدًا من أصل كل عشرة شباب فلسطينيين (1 من أصل 10)– أي من هذه الشريحة القادرة على القتال والقيام بالحرب بين سنّ الثامنة عشر والأربعين، كان إمّا في السجن وإمّا مقتولًا أو مجروحًا أو مطرود من البلد (مُبعدًا) ، ففعليًا كل الجيل الذي قد يُكون جيش لمقاومة الحركة اليهودية في الأربعينيات، قد كان مفقودًا.."

هذا بحسب ما جاء على لسان المؤرخ البريطاني يوجين روغان [3] (2008).

---

[2] مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان.

قد تمت أيضًا مقابلة أسيرة وأسير قُدامى– أي سُجنا وتحررا في سنوات سابقة لأوسلو، للوقوف على تجاربهم ومقوّمات فهمهم لتجربتهم في الأسر في ظل ظروف سياسية واجتماعية فلسطينية مُغايرة، أي حس جمعي نفسي فلسطيني مرتفع وحاضنة شعبية أكثر إالتفافًا حول القضايا النضالية. [4]

---

[3] كما بيّنه رئيس مركز دراسات الشرق الأوسط في بريطانيا، د. يوجين روغان، في تقرير مُصوّر عن النكبة بعنوان "سحق الثورة"، أعدته قناة الجزيرة ضمن سلسلة من التقارير عن الموضوع، تم صدورها عام 2008. https://www.youtube.com/watch?v=QzkZ3xjBkaM

[4] تجدر الإشارة إلى أن اثنيهما قد عاشا تجارب الأسر في سنوات السبعينيات والثمانينيات، إلّا أن قراءتهما لهذه التجارب وروايتها متأثرة بعيشهم الواقع الحالي بظروفه المجتمعيّة الحالية. ربّما يفسّر ذلك كثرة المقارنة التي قد أجرياها بشكل تلقائي بين الحاضر والماضي.

الفصل الثاني

خلفية نظرية

يُشكِّل هذا الفصل خلفيةً نظريّة لموضوعيّ الأسر والحاضنة الشعبية، وتمهيدًا للخوض في طرحهما من خلال سياق البحث. يتم التعريف في كُل من المبحثين التاليين عن أحد المركبين، وكيفية تطور هذا التعريف بما يتصل في سياق البحث، ذلك لنيّة توفير فهمٍ معمقّ للارتباط الوثيق بين العاملين: تجربة "الأسر" السياسي من جهة، كفعلٍ يُقصد به عقاب الأسير أو الأسيرة لانضمامه إلى النضال السياسي الجمعي لأبناء شعبه، مع تراجع الحِس النفسي المجتمعي– والمعبّر عنه بالحاضنة الشعبية الملتفة حول الأسير– لهذا الشعب الذي قدّم الأسير لأجله التضحية.

يقتصر هذا الفصل على عرضٍ للمفاهيم النظرية وتطوّرها وبروزها في أقوال الأسرى المحررين، بينما يتم في الفصول التالية عرض الديناميكية بينهما وأثرها على تجربة الأسرى، وكيف تعامل الأسرى في ظل هذا الوضع الاجتماعي الراهن فلسطينيًا، والسياسي الراهن في ممارسات الاستعمار تجاههم.

يُذكر بأن عدد من الأسرى قد أفاد بتوظيف هذا التراجع للحاضنة الشعبية الفلسطينية كأداة ضغط على الأسرى خلال التحقيق والأسر، كتصريح إحدى الأسيرات (24 عامًا، رام الله) عن قول المحقق لها: "مش حرام تعملي بحالك هيك؟ شوفي بقية جيلك اليوم بشو مشغولين.. حرام اللي بتعمليه."

المبحث الأول: عن فعل الأسر

ناقش العديد من المنظرين في الفلسفة والعلوم الاجتماعية فعل الأسر، ويرصد ميشيل فوكو في كتابه "المراقبة والمعاقبة– ولادة السجن" التحولات على اليات المعاقبة التي رافقت الحداثة في اوروبا. يقول فوكو أنه "كنتاج لمبادئ الثورة الفرنسية وواجب احترام الكرامة الآدميّة تحديدًا، لم يعد الجمهور الفرنسي والأوروبيّ يتقبّل عقوبات الشنق والبتر والصلب وحرق هذه الجثث المتمرّدة على الملأ وفي الساحات أمامه"، وبدأت السلطة البرجوازية بالبحث عن آليات جديدة لترويض هذه الأجساد الثائرة، "توصمها بوصمة العار والخزي والمذلّة والمهانة من خلال وضعها في قفص الاتهام أمام الملأ، وتكبيله بعقدة الذنب والتشهير به في المحاكم... ذلك قبل إنزال عقوبة الحبس به، ليتم تسليمه بعد ذلك إلى مؤسسة أخرى ضليعة بتفيذ هذا الحكم وتقويم ما فيه من إعوجاج"، فبحسب فوكو تأتي آليات الضبط هذه "من خلال تقاسم الأدوار بين مؤسسات الدولة" لترويض هذا الجسد وتكبيله (فوكو،1990).

وقد حذّر ميشيل فوكو من "مسلسل التساهُل في عقوبات الجسد" هذا، والذي انطلق في 1760 ولا يزال، إذ يقول أن الجسد لم يعد المستهدف فحسب، بل أصبحت الروح البشرية "المذنبة" مستهدفة أيضًا، حيث يمارس العقاب والحبس بغيّة أن "يتسرّب الزجرُ إلى أعماق الكائن ويمسّ اعماقه ووجدانه وإرادته، ومن ثم يُصيب روحه وروح الآخرين الذين حوله في الصميم" (المصدق، 2007). فيوضح فوكو بأن تكبيل الجسد من تكبيل الروح؛ كتعبير أحد الأسرى (27 عامًا، إحدى قرى رام الله):

"يوم أخدوني... كن حابب تكون موجودة عشان أودّعها، كنت واعدها أجيبلها هدية"... "في الزيارة بنتي كانت مع أمها، هي صغيرة كان مسموح تدخلّي... سحبوها سريع لما جيت أحضنها.. بتحسي بذُل إنك مش قادرة تلمسيها، وأن ما طوّلت بس جزء كبير من الأسرى بيكون خايف يطلع لبرا وابنه ما يقولُّه بابا..".

يؤكد كونيرتون، على دور الجسد في تشكيل ذاكرة المجتمعات، فكل الممارسات والعادات المشتركة تنتقل عبر الجسد، وتعمل هذه الممارسات الجسدية على خلق الذاكرة الثقافية وتنشيطها (Connerton, 1989).

يتحدّث عن ذلك العديد من الباحثين في مختلف المجالات الفكرية وينوّهون إلى "أهمية الجسد "كوثيقة تاريخية". فنجد أن ميشيل فوكو من قبله، على سبيل المثال، يرى أن "الوثيقة" بمعنى Document ليست في النص "الذي يأسرنا في بحثنا عن أكبر قدر من الموضوعية لمقاربة موضوعات البحث....، بل الوثيقة هي الجسد ذاته كما هو مأخوذ في علاقات السلطة ، تحفر فيه أخاديد لا تمحى ، وترسم على جدرانه بوشم عصي زواله" (عبد العظيم، 2011).

ويرى جيسون بويل في دراسته لإرث ميشيل فوكو في هذا الصدد تحديدًا أنه قد استخدم أداة الأركيولوجيا Archeology كمنهجية في الكشف عن قيمة الجسد باعتباره مخزنًا لذاكرة المجتمع. وقد استخدم مصطلح الأركيولوجيا مجازًا، ويقصد "الحفر" والغوص للأعماق من أجل الكشف عن وقائع خفية في ميدان معين؛ لإعادة بناء حقيقة ما (Powell, 2002).

وقد عبّر فوكو بشكل واضح عن وصفه للسجن بأنه "صورة أو وجه "مركزي صارم" لكل أنظمة الانضباط" والتي تُفرض على الجسد.

وقد اعتبر جيل دولوز، الذي تأثر كثيرًا بفوكو، أن السجن عبارة عن طريقة جديدة للتأثير على الجسد من خلال القانون الجنائي، الذي يحتسب عقوبة فعل معيّن من خلال منظومة القانون– وهي منظومة لفظية. حيث يختلف ذلك عن عالم العقوبة ذاتها، علم السجن– الذي اعتبره منظومة المرئيات. ويرى أن لكل من هاتين المنظومتين مفاعيلها وآلياتها إلا أنهما "لا يكفان عن التماس والتقاطع بينهما، فالقانون الجنائي لم يكف عن إعادة "المنحرف" إلى السجن، ولا عن تشكيل "المنحرفين"، في حين لا ينقطع السجن عن إعادة انتاج المساجين، جاعلًا من ذلك موضوعًا (تخصصًا) له "وبحسب دولوز يحتدم هنا السجال مع القانون الجنائي الذي يرى هذا الموضوع بصورة مختلفة– يراه "دفاعًا عن المجتمع، تغيير للمحكوم، تعديل للعقوبة وشخصنة لها" (دولوز، 1987).

بحيث يعتبر الأسر تجربة مكثفة من "العزل عن المحيط والبيئة الطبيعية، وعدد كبير في محل مسكَّر (مغلق) ومحاولات سيطرة دائمة عليك.. كل الوقت"– ذلك بحسب تعبير أحد الأسرى (39 عامًا، من القدس).

يحاول هذا البحث توجيه الضوء إلى أثر هذا الفعل– الأسر، العنيف تجاه الجسد والنفس والقامع لهما أصلًا، تحديدًا في معاقبة أفرادٍ الذين كانوا يناضلون سعيًا إلى الحرية ولمقاومة القمع قبل دخوله، وكيف يأتي وقع هذا الفعل وأثره في ظل التراجع في الحاضنة الشعبية

الفلسطينية التي كانت مزودًا أسياسيًا للدافعية لدى الأسير؟ وهل يتزوّد الأسرى بأساليب نضالية مقاومة لهذا الوقع "الصارم"؟

فأن هذا البحث يسعى لمقاربة فعل الأسر في سياق استعماري مختلف عن السياق الذي صاغ فيه فوكو أفكاره.

عن فعل الأسر في السياق الاستعماري الصهيوني لفلسطين:

إن الأسر كفعل مُوجَّه "لسحق الثورة"، هو ليس بالجديد على مستوى السياق الفلسطيني. فلدى النظر إلى القرن الماضي فقط[5]، نرى ذلك يبرز جليًا من خلال تجريم الانتداب البريطاني للمقاومة الفلسطينية خلال الثورة الفلسطينية الكبرى– "ثورة الفلاحين" عام 1936، والسعي المستمر بعدها لجعل الثورة من دون قيادة. ظهر ذلك في الأساس من خلال ما سُميّ بـ"مُخيّمات التركيز" التي تم الزج بآلاف الفلسطينيين فيها خلال الانتداب البريطاني وقُبيل قيام دول الاستعمار الصهيوني على أرض فلسطين.[6]

كما وإن تسمية الأسرى السياسيين بـ" أسرى أمنيين" يأتي لانتزاع الطابع السياسي عن نضالهم وقضيتهم واستبداله بطابع "الخارجين عن القانون والشرع والنظام" أو"المنحرفين نحو الإجرام" و"المخربين" (بدارنة، 2015). ذلك ما يؤكّد عليه باحثين ومؤرخين من فترة الانتداب

---

[5] لم تتطرق الباحثة إلى الفترة ما قبل الانتداب البريطاني لفلسطين، لعدم توفر الوقت والإمكانيات لذلك في إطار البحث الحالي، واكتفت بالنطر إلى القرن الماضي فقط. ذلك لا يعني عدم ممارسة فعل الأسر تجاه الشعب الفلسطيني قبل ذلك، لنفس السبب أو لأسباب أخرى.

[6] كما بيّنه رئيس مركز دراسات الشرق الأوسط في بريطانيا، د. يوجين روغان، في تقرير مُصوّر عن النكبة بعنوان "سحق الثورة"، أعدته قناة الجزيرة ضمن سلسلة من التقارير عن الموضوع، تم صدورها عام 2008.
https://www.youtube.com/watch?v=QzkZ3xjBkaM

البريطاني، كقول المؤرخ الإسرائيلي آفي شاليم: "لم يخسر الفلسطينيون المعركة في 1948 بل في نهاية الثلاثينيات لأن بريطانيا كانت قد أجهزت تمامًا على الثورة الفلسطينية والقوى العربية 'غير النظاميّة'". [7]

في حين واجهت الباحثة إشكالية عدم توافر معطيات أو احصائيات حول حالات الاعتقال أو الأسر ما بين ال 1948 و1967، تُبيّن تقارير لمؤسسات تُعنى بشؤون الأسرى[8] أنه منذ العام 1967 وحتّى العام 2014 قد تم أسر ما يُقارب 800،000 فلسطيني من قِبل قوات الاستعمار الصهيوني، منهم 308،000 منذ الانتفاضة الأولى وما يقارب 88،000 حالة اعتقال خلال فترة انتفاضة القدس والأقصى.[9]

وإن عدد الأسرى الذين تم اعتقالهم في نهاية العام 2017 كان قد بلغ 6500، بينهم 170 امرأة و600 طفلًا [10]. يتوزعون جغرافيًا على نحو: 70 أسيرًا من الأراضي المحتلة عام 1948، و550 من مدينة القدس، و320 من قطاع غزّة، بينما يكون البقية من الضفة الغربية [11].

قد استخدمت أنواع قاسية من التعذيب الجسدي والضرب المبرح والإهمال الطبي تجاه الاسرى خلال عمليات التحقيق والنقل والتفتيش، وقد أسفر ذلك عن استشهاد 215 أسيرًا، منهم 71 أسيرًا بسبب استخدام اساليب تعذيب وحشية خلال استجواب المعتقلين، واستشهاد

---

[7] نفس المصدر السابق.

[8] معطى بحسب مؤسسة الضمير لرعاية الأسرى وحقوق الانسان.
http://www.addameer.org/ar/news/palestinian-prisoner%E2%80%99s-day-2014

[9] بحسب تقرير لمركز أسرى فلسطين للدراسات.

[10] بحسب رصدٍ أجراه مركز أسرى فلسطين للدراسات في نهاية العام المُنصرم، بيّن في ورقة أصدرها بتاريخ 2017\12\31
http://www.asrapal.net/index.php?action=detail&id=9757

[11] http://www.addameer.org/ar/statistics

7 اسرى آخرين داخل السجون بسبب القمع وإطلاق النار عليهم، ذلك منذ العام 1967 وحتّى العام 2017.[12]

وكانت قد شُكلت عام 1987، لجنة تحقيق خاصة يرأسها رئيس المحكمة العليا الاسرائيلية في حينه موشيه لانداو وعرفت باسم (لجنة لانداو)، وتلى ذلك صدور قرار عن المحكمة العليا "الاسرائيلية" عام 1996 يُقر لجهاز الامن العام " الشاباك " باستخدام ما أسمته "قدر معتدل من الضغط الجسدي" خلال التحقيق مع المعتقلين الفلسطينيين، وهو ما يعني عملياً اعطاء الشرعية لاستخدام التعذيب لانتزاع الاعترافات منهم.

في نظرة سريعة إلى هذه الأرقام نرى بأن موضوعة الأسر بالنسبة للشعب الفلسطيني ليست بالظاهرة المحصورة أو المحدودة الانتشار، بل هي جزء من الواقع الاستعماري الذي يحياه الشعب الفلسطيني ويمسّ كافة مناحي عيشه. ودورنا كأخصائيين نفسيين مجتمعيين أبناء هذا الشعب فهم هذه التجربة، وتفكيك حيثياتها، وآثارها، والخبرات الناتجة عن خوضها، والإسهام في التحصّن النفسي أمامها.

[12] بحسب هيئة الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين.

المبحث الثاني: عن تراجع الحِسّ النفسي المجتمعي في المجتمع الفلسطيني

يحاول هذا المبحث تقديم فهمٍ للتراجع الحاصل في الحِسّ النفسي المجتمعي في المجتمع الفلسطيني– أو كما يظهر المُصطلح في الأدبيات الشعبية وكما سمّاه بعض الأسرى المقابَلين: "الحاضنة الشعبية".

تأتي محاولة الفهم هذه، تِبعًا لأهمية عامل الحِسّ النفسي المجتمعي في تجربة الأسير، كما أسلفنا الذكر في المقدّمة، وكما سنستفيض في التوضيح تاليًا.

يعرض المبحث مراجعة نظرية لمفهوم "الحِس النفسي المجتمعي" ودوره في حياة الفرد عامةً، إنطلاقًا إلى عرض نماذج لانعكاسه في الواقع الفلسطينيّ وفي تجارب الأسر تحديدًا، وصولًا بعدها لمحاولة فهم مركبات وعوامل تراجع الحس النفسي المجتمعي في المجتمع الفلسطيني في الفترة التي تلت اتفاقية أوسلو.

الحِس النفسي المجتمعي (sense of community):

في التعريفات الأوليّة أو الأكثر رواجًا للحس النفسي المجتمعي sense of community، هو الشعور بالانتماء لمجوعة أو لمجتمع مُعيّن والذي يرتفع تِبعًا لما يُقدّم هذا المجتمع للفرد من "سند" و"عزوة" – أي من رأس مال اجتماعي. فبحسب نموذج ماكميليان وشافيز يُعرف الشعور النفسي المجتمعي على أنه: "الشعور بالانتماء للمجموعة والإيمان المشترك بأن حاجات الأفراد ستتحقق من خلال إلتزامهم بالبقاء موحدين مع الآخرين" (McMililan & Chavis, 1986).

بحسب هذا النموذج الذي يُعتبر من أكثر النماذج شيوعًا واعتمادًا، فإن الحس النفسي المجتمعي لدى الأسرى يرتفع أي حِسّهم بالانتماء يزداد قوّة حين يتوفر دعمٌ لهم واحتضانٌ شعبيّ لفعلهم النضالي وتحقيق لاحتياجهم في التحرر من الأسر من قِبل أبناء شعبهم. في أقوالٍ لأسرى قدامى خلال المقابلات معهم، عبّروا عن دور الحِس النفسي المجتمعي – بمفهوم ما قدّمته "الحاضنة الشعبية" كما سمّوها من دعمٍ لهم– في تعاملهم مع تجاربهم في الأسر وفي التحقيق، وأن هذا الانتماء للمجموعة قد زادهم قوة وقدرة على الصمود في وجه هذه التجربة؛ بل وإن رمزية التجربة في الأسر لدى الأسيراة تأثرت واستمدت من هذه الحاضنة الشعبية، كقول أسيرة (68 عامًا، مدينة القدس):

"كُنا متأكدين إنه في أمل للتحرير، إنه التحرير قريب، الحالة السياسية لشعبنا وللقيادة ما كانتش متل اليوم"، وأضافت، "كنا نعمل كلشي عشان منعرف مش رح يتركونا وأكيد رح نطلع".

وقد حدّد "ماس"– معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطينية في دراسته حول "مفهوم رأس المال الاجتماعي وأهميته بالنسبة للأراضي الفلسطينية المحتلة"، تعريفه لعنصر الثقة في الشعور النفسي المجتمعي– "إن الثقة تعبّر عن مدى ثقة عضو الجماعة بالأعضاء الآخرين، واعتقاده بأنهم سيتصرفون وفقًا للمصلحة العامة وليس الخاصة" (النقيب، 2006). وفي هذا الصدد يضيف أسير آخر (56 عامًا، رام الله): "كنا نفكر قديشهم رفاقنا فخورين فينا، وكل البلد بتستنانا".

إلّا أن أقوالًا تدلّ على وجود ثقة كهذه– بما ستقدّمه المجموعة للفرد وبأنها "لن تتركه"، لم تكن حاضرة في أقوال الأسرى والأسيرات المقابَلين\ات من جيل الشباب، والذين كانت فترة أسرهم بعد توقيع اتفاقية أوسلو، ذلك لتأثير هذه الاتفاقية على البنية الاجتماعية والاقتصادية للشعب الفلسطيني، والتي كان أحد انعكاساتها هو تراجع في الحاضنة الشعبية الفلسطينية. فيما يلي عرض لعوامل قد تكون ساهمت في إحداث هذا التراجع.

عن تراجع الحاضنة الشعبية في المجتمع الفلسطيني: العوامل المختلفة والتحوّلات

بحسب رنا بكير (2012) حدث ضعف وتراجع في الشعور النفسي المجتمعي لدى المجتمع الفلسطيني نسبةَ لقوّته في فترة الانتفاضة الأولى، وأن هنالك حالة من الاحباط والتفكك الاجتماعي والشعور بالعجز في المجتمع. ذلك مع العلم أنّ عامليّ الانتماء والأحزاب هما من ساهم في صيانة وتماسك اللُّحمة المجتمعية لدى الشعب الفلسطيني في الانتفاضة الأولى.

إن أحد أهم الروابط التي يقوم عليها الحس الجَمعي في المجتمعات هو الرابط "المكاني" (locational) والمتعلق بوجود أشخاص في بقعة جغرافية ومكانية واحدة. وقد جرى تفكيك هذا الرابط على مستوى الشعب الفلسطيني كوحدة كاملة، من خلال سياسات العزل والضم الاستعمارية وتحويل الشعب الفلسطيني إلى معازل جغرافية (وسياسية): مدينة القدس، الأراضي المحتلة عام 1948، والضفة الغربية وغزة ومخيمات اللاجئين والشتات الفلسطيني.

رابط آخر هو "العلائقية" (Relational): والمجتمعات العلائقية هي التي تقوم على أساس وجود نفس الاهتمامات والدوافع. وعند هذا التعريف أيضًا قد نرى انتهاءً نوعًا ما للدافع الجمعي لتحقيق الحرية أو لانتهاء الحالة الاستعمارية كما ونشهد انتهاءً للتعريف الجمعي والمشترك لماهيّة ما يسعى الأفراد أو أبناء ذات الشعب لتحقيقه. وقد يكون ذلك بحكم تكريس خطابات سياسيّة تجهيليّة وخطابات هويّاتية مختلفة في المناطق الفلسطينية المختلفة. بحيث تسيطر السلطة الفلسطينية بطابعها "الوظيفي" الموالي للتعريفات الحاليّة للاستعمار، والتي تسعى إلى تذويت فكرة "الدولة الفلسطينية على الحدود المحتلة عام 1967"، على المناهج التعليمية في الضفة الغربية وغزة وبشكل جزئي في القدس حتّى فترة متأخرة وبشكل قليل اليوم، وترافقها في ذلك المدارس الأهلية الممولة غربيًا.

بينما تبسط سلطات الاستعمار سيطرتها على المناهج التعليمية وعلى كافة مناحي الحياة في الأراضي المحتلة عام 1948.

وكان قد تحدّث الأديب والصحافيّ غسان كنفاني (1968) في كتابه "الأدب الفلسطيني المُقاوم تحت الاحتلال 1948-1968"، عن "الوضع الثقافي لعرب فلسطين المُحتلّة"، وعن بدايات محاولات الاستعمار لبسط هيمنته الفكرية وللسيطرة على الوعي. تطرّق كنفاني في هذا الصدد إلى آليات التخويف والقمع لمن يحاول مقاومة هذه الهيمنة والنشاط سياسيًا، كالتهديد والطرد من العمل أو الجامعات، أو الأسر.

كما وقد تحدّث بشكلٍ وافٍ عن الآثار الأولى لمحاولات التجهيل هذه:

"إن سمة التجهيل المتعمد هي سمة بارزة من سمات الاضطهاد الثقافي الصهيوني لعرب الأرض المحتلة، وفي هذا النطاق تبرز مسألة التعليم كشيء أساسي..".

ويضيف كنفاني في وصفه لمخطط مقصود ومدروس، على لسان جمال قعوار– وهو شاعر وكاتب من فلسطين المحتلة– على أنه "يبثُّ الروح العدميّة بين الجماهير العربية ويكبت الروح التقدُّميّة العربية". (كنفاني، 1968)

ذكرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" العبرية من خلال تحقيق أجرته، أن جهاز المخابرات الإسرائيلي "الشاباك" يتدخل بشكل كبير في تعيين المعلمين والمدراء أو فصلهم من المدارس الفلسطينية في الداخل المحتل، لأسباب سياسية تشترط الولاء لدولة إسرائيل. كما وأن "ممارسات الشاباك في المدارس العربية ما زالت مستمرة حتى اليوم".

يتفق ذلك مع ما يقدّمه فرانز فانون (1963) في وصفه لتصرف الذات مقابل الجماعة حين يشتدّ القمع عليهما، على أنه "ذوبان الذات الفردية مقابل المجموعة"(Fanon, 1963). فحين يُرفع جزءٌ من هذا القمع أو يُصبح أكثر تبطينًا وخفيةً، وحين تُعطى بعض الامتيازات تبعًا للمناطق الجغرافية المختلفة، وامتيازاتٌ أخرى للاستثمار والنمو الاقتصادي للشركات الكبرى– والمتعلّق باقتصاد الاحتلال وبموافقته بشكل مباشر– ذلك معناه أن وجه القمع لم يعُد موحدًا أو ذات وطأة موحّدة على كافة أفراد المجموعة، بل يفكك ماهيّتها كمجموعة مرتبطة علائقيًّا أو تربط أفرادها علاقة دوافع مشتركة.

يتحدّث أنثوني نايدو(1996) وجيم أورفود (2008) عن المركزية الأوروبية وهيمنتها على المناحي المختلفة لحياة شعوب العالم ودوله؛ كالعلوم، والنظم الاقتصاديّة والخطاب السياسي والاجتماعي لها. من بين هذه المناحي يتوجّب توضيح اثنين ضروريين لفهم صورة التغيير الحاصل في المجتمع الفلسطيني وتأثير هيمنة المركزيّة الأوروبيّة هذه عليه:

يتلخص الأول في دخول مؤسسات المجتمع المدني إلى العمل المجتمعي في مجتمعات "الدول النامية" كنمط للنشاط الاجتماعي والسياسي، مما يغيّر شكل النشاط الاجتماعي المحليّ وهو العمل المجتمعي التطوعي. يأتي ذلك منتجًا تغييرًا إضافيًا، وتحديدًا على مستوى خطاب هذه المؤسسات التي تعمل بتمويلٍ أجنبيّ يُشترط تقديمه بالالتزام في خطاب الممول، الأوروبيّ– أو ذات الرؤية الأوروبية– في أغلب الأحيان. مما يعني تكريس خطاب هذا الممول على مستوى "مجتمع الهدف" لعمل هذه المؤسسات التي تتلقى تمويلًا منه. وينوّه نخلة إلى ذلك بقوله: "إن تمويل المؤسسات غير الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني تمويلًا خارجيًا هي إعادة تعليب وإعادة قولبة للرسائل السياسية لهذه الدول" (نخلة، 2011).

وقد ينطبق هذا أيضًا على سياسات المؤسسات الحكومة أيضًا لتلقيها أيضًا تمويلًا ومعونات أجنبية، وينعكس هذا في قول أحد الأسرى (شاب، 23 عامًا، مدينة القدس): "بتحس حالك عبء على وزارة الأسرى، بحكولك: 'مفكّر حالك أوّل وِلّا آخر واحد إنت؟'. بتحس ولا كإنّك عامل شي."

ونرى ذلك أكثر وضوحًا عند نظرنا إلى المجتمع الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام 1967، ونلحظ سيادة النضال من خلال القانون وخطاب حقوق الانسان، وتذويت هذا في

رؤية الشعب الفلسطيني للنضال، فقد أصبح مطلوبٌ من الفلسطيني أن يلجم غضبه وألمه وأن يصيغه مُرتبًا منقحًا في ورقة قانونية، تستبدل حقيقة مشاعره باصطلاحاتٍ حقوقية، وأن يقدمها للمحافل الدولية. وقد تحوّلت النظرة لمن يناضل بطرق أخرى، ومنهم المقاوم والأسير، كـ"مخالف".

فبحسب ما جاء في أقوال أسير (23 عامًا، مدينة القدس): "بتعاملوا معك أمراتًا (أحيانًا) بتقدير وأمراتًا في الجامعة بتعاملوا متل المسكين، وأمراتًا هدول الملتزمين بشغلهم بتعاملوا إنك مشكلجي، وانت اللي بتجيبه لحالك".

كما ووصفت ميعاري الأمر بأنه خلال الفترة اللاحقة لإتفاقية أوسلو، قد شهد المجتمع الفلسطيني في المناطق المحتلة عام 1967، مشاريع ومؤسسات حديثة قد أعادت تشكيل ممارسات النضال السياسيّ فيه. فبقيادة السلطة الفلسطينية ومؤسسات المجتمع المدنيّ تم تحويل النشاط الاجتماعي السياسي إلى مهنة من خلال المؤسسات غير الحكوميّة، والتي تعتمد على تمويل مشروط يذوّت خطاب حقوق الإنسان والقانون الدولي: أي تحويل المشروع السياسي من "مقاومة الاحتلال" إلى مشروع "بناء مؤسسات الدولة" (ميعاري، 2014). وقد وصف عادل سمارة المؤسسات غير الحكومية وقدّمها على أنها تقوم "بلعب دور الأداة التي تفسد المجتمع من الأسفل ويفسدها الكومبردور من الأعلى" (Samarah, 2003).

أما عن المنحى الثاني، فهو المنحى الاقتصادي النيوليبرالي المستورد أيضًا من النظام الاقتصادي الأوروبي في إطار ما يسمّى "مشاريع التنمية الاقتصادية" التي ترِد من الدول "المانحة" والتي تشترط باتخاذ "السياسات والخطط الاقتصادية النيوليبرالية من قِبل السلطة

الفلسطينية، والتي تعيد في نهاية المطاف إنتاج أشخاص ليبراليين"، كما وصفت ميعاري الحال (Meari, 2014)، ويقصد بذلك تجاه أفراد المجتمع تجاه نموٍّ فرديّ لأشخاصهم ومصالحهم، مُنقطعًا عن النمو الجماعيّ لمجتمعهم.

ويرى مصطفى حجازي في كتابه "التخلف الاجتماعي –سيكولوجية الإنسان المقهور"، أنه "حين تغيب السلطة أو يهزل وجودها يتحول المجتمع عندها إلى ساحة قتال وصراع على النهب، ما أمكن وبأكبر كمية متاحة" (حجازي، 1985).

فنرى ازديادًا في خصخصة المشاريع العامة وزيادة ربح الشركات ورؤوس الأموال الكبرى.

وبحسب أنتونيو غرامشي، هنالك ارتباط وثيق وعلاقة صيانة متبادلة بين هذين المنحيين السابقين– أي مؤسسات المجتمع المدني وسياسات السلطة. فقد تأمل غرامشي من خلال تنظيراته أن يُظهر كيف تعمل المجتمعات الرأسمالية المتطوّرة، ولماذا لا تحدث الثورات في المراكز الصناعية، ولكنها تحدث في الأرياف والمناطق الهامشيّة (Gramsci,1971).

بناءً على ذلك، توصل إلى استنتاج مفاده أن الطبقة العاملة وافقت إلى حد ما على أن تبقى محكومة، وأن تظل مستضعفة – ويطلق عليها اسم "الأيديولوجية البرجوازية" الشهيرة التي تحدث عنها ماركس وإنجلز ولينين – التي تصنّعها الدولة وأيديولوجيتها. وتوصل غرامشي إلى استنتاج مفاده أن هذه الموافقة لم تصنعها الدولة فقط، بل من جميع أجسام وهيئات الطبقة الحاكمة. فقد رأى ماركس، كما يخبرنا غرامشي، فصلان متميزان على مستوى البنية الفوقية (super–structure)، وهما المجتمع السياسي والمجتمع المدني. ووصف هذه الموافقة المُصطنعة على تساوق كل من المجتمع السياسي والمجتمع المدني، على أنها

تحقيق "للهيمنة". ومع تحقيق "الهيمنة" للطبقة الحاكمة على بقية المجتمع، تظل الدولة والطبقة التي تمثلها في السلطة مضمونة الوجود وتُعيد انتاج ذاتها (Gramsci,1971).

في هذا الصدد يتحدّث عابد الزريعي عن وجوب التوقف عند الصعوبات التي يواجهها الأسرى والأسيرات الفلسطينيين المحررين\ات في حياتهم بعد الأسر، ذلك تبعًا للسياسات الاقتصادية للسلطة الفلسطينية ولانشغالها والمجتمع الفلسطيني عن قضية الأسرى ولعدم وجود الوعي والمبالاة لحماية كبرياء الأسيراة المحرراة وفخره بذاته (الزريعي، 2013).

يترجم هذا بوصف اثنين من الأسرى لصعوبة إيجادهما لفرص عمل تتناسب مع كفاءتهما، ذلك لكونهما أسيرين محررين؛ كقول أحدهما (36 عامًا، نابلس):

> "المؤسسات والشركات اليوم، بدها تشتغل، بدها تكبّر راس المال، ما بدها وجعة راس، بدهُمش حد ممكن يرجعوا ياخدوه ويأخر الشغل"... "يعني البلد مليانة شباب بدها تشتغل بجيبوا غيرك أضمن"، "فعليًا كونك أسير سابق هو عائق".

وكتعبير الآخر (30 عامًا، مدينة القدس):

> "اسمعي، اليوم وين بتروح تشتغل بتخاف يعرفوا عن سجلّك وانك كنت اسير، يعني أسير تمام، بس بالآخر بدك شغل بدك تعيش".

تِبعًا لما تقدَّم في هذا المبحث، نرى إذًا بأن الشعب الفلسطيني في مختلف مناطق تقسيمه قد مرّ منذ ما سبق النكبة، بتحديّات قاسيّة وبعمليّات مختلفة موجّهة نحو الوَعيّ والاقتصاد معًا، غالبيتها ممنهجة لتغيير الوجه الاجتماعيّ والوُجهة السياسيّة للشعب الفلسطيني. ويأتي

هذا التكثيف للتغيرات المُبطّنة والساكنة والتدريجيّة التي مرّ بها المجتمع الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام 1967 منذ توقيع اتفاقية أوسلو، ولا يزال يمرّ بها حتّى اليوم، كمُثبطٍ تدريجيٍّ أيضًا للحاضنة الشعبية الفلسطينية أي لمفهوم الحس النفسي المجتمعي المتعلّق باحتضان ودعم الفعل المُقاوم.

وينطلق البحث من هنا لفهم المُعززات والدوافع التي ترافق الأسرى السياسيين الفلسطينيين في تجاربهم مع الأسر في ظل هذه التغييرات وهذا التراجع في الحس النفسي المجتمعي.

الفصل الثالث

الممارسات الاستعمارية من قبل إدارة مصلحة السجون وجهاز المخابرات

يعرض هذا الفصل "أهم" الممارسات التي ذكرها الأسرى والأسيرات في سياق المقابلات التي أجريت معهمانّ في إطار هذا البحث، وتُحدّد "أهميّة" هذه الممارسات بحسب ما عبّر عنه الأسرى بتلقائية خلال حديثهم ووصفهم للتجربة.

وقد جرى التعبير عن هذه الأهمية من خلال تكرار ذِكر نفس أنماط الممارسة مِن قِبَل أسرى وأسيرات مختلفين، أو لدى ذِكر هذه الممارسات مصحوبة بالعِبارات التالية: "أصعب إشي كان لما..."، "من أهمّ اللحظات في حياة الأسير..."، "يعني بتذكّر أسوأ شي لما..."، "يا الله شو كان مُستفز...".

في معظم المقابلات قد ورد ذِكر هذه الممارسات بشكل تلقائي مِن قِبل الأسرى والأسيرات، حين لم يتم ذِكر هذه الممارسات خلال سرد الأسيراة لتجربته في الأسر – وهي حالات قليلة لم تزد عن ثلاثة حالات، تم سؤالهاا بعد انتهائهاا من السرد، هل كانت هنالك ممارسات مُعيّنة أو فارِقة مِن قِبَل إدارة مصلحة السجون التي تذكرها من تجربتك؟

تحدّث جزء من الأسرى لدى سؤالهم عن شعورهمان إزاء ما جرى، عن كون هذه الممارسات لا يَقصد بها المحافظة على النظام، أو توفير اقتصادي ماديّ على إدارة السجون كما تُصرّح

هي، بل بأنها مورست حينها بهدف تسبيب أذىً نفسيّ أو جسديًّ وذُلّ للأسير. فبحسب ما جاء في أقوال أسير (36 عامًا، من نابلس): "بتحسي الشي مش هيك، مش صدفة، بتحسي قاصدين يذلوا الأسير، عشان ينكسر يعني...".

وكما أشار إلى هذا الشأن أسيرٌ آخر(30 عامًا، مدينة القدس):

"يعني لما ما يكونلكش دقيقة وشوي ولّا دقيقتين في الحمام ويسكروا المي وانت الصابون لسه عليك؟ قال خلص 'زيه هوو إين مايِم' (بالعبرية وتعني: إنتهى، لا يوجد ماء)، شو هو اللي 'إين مايِم'؟ هلّا احنا عارفين انه مش عشان فش عندهم ميّ ولا بدهم يوفروا مثلًا- هلّا عال توفير بدهم أكيد.. مش ميتين يجيبولنا أحسن أنواع صابون مثلًا- بس المغزى عندهم إنه هم بحددولك وينتا تنهي حتى لو الوقت مش كافِ".

وقد جاء وصف هذه الممارسات الموّجهة فترة الاعتقال على لسان أسيرة (24 عامًا، رام الله) على النحو التالي:

"كل مرة بدّك تتحمي، قصّة، بدقّوا كل شوي عالحمام، كنت كتير أخاف، بس أنزّل شوية مي عليّ وأطلع .. قال بعطوا الاستحمام كحقّ، بس هم بستخدموه كيف ما بدهم، يعني بيجوا الفجر قومي تحممي، أو لما بدّك وضروري تتحممي بيقولولك ما في مَيّة سخنة".

وقد ذكرت في سياقٍ آخر وصفها لتجربتها مع التفتيش:

"طلبوا أشلح أواعيي، أنه بدهم يعملوا تفتيش عارٍ قلتلهم بشلحش.. مش راح أشلح، بالآخر بلشوا يعصبوا قال إذا بترضيش بشلحوكِ غصب عنك.. فبديت أصيّح عليهم قلتلهم بالقانون الدولي بنفعش تعملوا هيك بتقدروا تروحوا وتسألوا، فهم راحوا وسألوا مرتين، وما فتشوني بالآخر. عشان بعرف بالقانون وأصريت أرفض، بس تخيلي كل اللي ما عرفوا أنهم بيقدروا يرفضوا... القصة إنهم بفتشوا المعتقل كل مرة وهو معهم طول الوقت أصلًا".

تُعرض فيما يلي أكثر الممارسات التي تحدّث عنها الأسرى كممارسات "تعذيبية" أو ممارساتٍ قد حملت "تعذيبًا أو مذلّة" لهم. يأتي هذا العرض مُقسِّمًا الممارسات المذكورة بحسب ماهيّة وآلية عمل كل منها، إلى ثلاثة محاور رئيسة: إفقاد الشعور بالسيطرة، حرمان الحواس، تحويل الشأن الجَمعي إلى فردي.

1) افقاد الشعور بالسيطرة:

ورد ذكر عامل إفقاد الشعور بالسيطرة كممارسات تُسبب بحسب تعبير بعض الأسرى الذل لهم. فبحسب ما ورد في رسالة الأسير المحرر رائد أنضوني[13] – خلال حملة إضراب الكرامة لدعم الأسرى الفلسطينيين في إضرابهم عن الطعام:

[13] المصورة بتاريخ 28\04\2017

"... الإضراب عن الطعام– كان خيارهم الوحيد من أجل الحياة بكرامة وحرية، لما بتكون عايش تحت السيطرة في السجون الإسرائيلية ما بيكون في قدامك قرار لتكون من خلاله صاحب قرار إلّا إنك تغامر بحياتك، في محاولة إنك تسترد كرامتك وقدرتك على الفعل".

ويربط الأسير السابق أنضوني في حديثه هذا، بين "انعدام السيطرة" وانعدام "القدرة على الفعل" كأمور تتناقض والعيش "بكرامة".

ويتحدّث أسيرٌ (27، رام الله)، عن انعكاس انعدام السيطرة في الحياة اليومية في الأقسام، بوصفه:

"السجن مُقرف، بتنحطّ في شخصية ما بدّك إياها" (هو شخص لا يُدخِّن بشكل عام، لكنه أشعل سيجارة) وأضاف: "إنت مربوط بنفسية وإرادة السجّان، بتنام إيمتى بدّه (يريد)، بتصحى إيمتى بده، بيعدّك في البرد (يُخرجك للعدد).. الذلّ مُقرف."... "الحصر في بقعة جغرافية صغيرة، مسكّرة، حيوان، مكبّل، طلباتك مرفوضة.. بيجوا يهود طلّاب وأخصائيين يشوفوك ويتفرجوا عليك، وكأنّك في جنينة حيوانات".

ويضيف أسير آخر (26 عامًا، مدينة القدس):

"من لحظة الاعتقال وحتى التحقيق والأقسام، هني بقرروا أي لون تلبس، إيمتى تنام إيمتى تصحى... بدهم يحسسوك إنّا احنا مسيطرين هون واحنا بنقررلك.."

تُعبّر هذه الاقتباسات من أقوال أسرى وأسيرات محررين وأخرى كثيرة غيرها، عن ارتباط وثيق بين سلب الأسير (أو الانسان عامةً) لسيطرته على ظروفه بالشعور بالذُّل. في حين يتحدّث الأسرى بشكل واضح عن أن الممارسات التي تُفقد الأسير سيطرته على ظروفه تُعتبر بالنسبة لهم ممارسات مُذلّة وقد جاءت في سرد معظم الأسرى على أنها أكثر الممارسات ذُلًا.

- **عدم القدرة على اتخاذ القرار في أبسط الأشياء أو السيادة على تقرير الاحتياجات الأساسية:**

كقول أحد الأسرى لوصفه لفترة الاعتقال (27 عامًا، إحدى قرى رام الله):

> "إنت هلأ (هلّق- الآن) خارج الحياة، بتقدرش تشرب، بتقدرش تحك في راسك حتّى، ممنوع، ممنوع، ممنوع.. ممنوع تتحرك، ممنوع تحكي. إنت طالع عن السيطرة، مش غادر (ليست لديك القدرة) تعوِّد حالك أو تسيطر عَ اللي بصير فيك".

وفي سياق أخر تحدّث عن قضية عدم إطْلاع المخابرات إدارة مصلحة السجون للأسير على موعد الإفراج عنه أو مدّة حكمه:

> "جربت مسؤولة المنطقة بالأول تضغط علَيّ من جانب إني رح أطوّل عندهم، يومها قالتلي: {ما تتوقعش تروّح بالوقت القريب، أنا بقول بدي من سنة ونص لسنتين، لا ***** (اسم المحامي) ولا القاضي ولا

غيرهم بنفعوك، حتّى لو صدر قرار تروّح، رح أجيب ملف وأحبسك لسنتين}.. وأنا فعلًا صدّقت إني ممكن حبستي تطوّل... فكرت إنه هيك رح أظلني عايش إني كل يوم بدي أروّح وأجهّز حالي، وما يروحوني، بدخل في اكتئاب هيك.. وهدا الجو إللي بدهم يحطوك فيه"

ووصف أسير آخر (32 عامًا، مدينة القدس):

"إسمعي، بتعرفي هذا المُصطلح تبع إنه الإنسان بصير يكره حاله؟ هيك هم بعملوا، بخلّوا الواحد يكره حالُه. فشي مجال حتّى لاحتياجاتك الأساسية. فشي مجال إنسيكِ. يعني حمام، سيجارة، دُش دقيقتين وبتطلعي ممنوع اكتر... بتعرفي حتّى الحق إنه يكونلك ذكريات، تكتبي إشي ع صورة، بنفعش، لأن ولا صورة مكتوب عليها حرف بتطلع من السجن. كل شي هو جوّاك، مشاعرك، حَكيَك، احتياجك. كل شي لازم يبقى جوا جسمك، إلك."

ويضيف واصفًا لانعدام الخيار في التعبير عن المشاعر أو مشاركتها:

"لازم دايمًا تكون مِرِح كمان، بنفعش تنكّد ع بقية الرفاق، يعني كلنا محشورين في نفس المحل وفش مجال للتعليقات اللي ممكن تحبط حد او تزعل حد".

وبحسب قول أسير (39، القدس):

"– "الإشي اللي مش معروف هو إشي خطير، الواحد ما كانش يعرف ينام كنا مش عارفين إذا رح يقصفوا المقر وأحنا قاعدين أو رح يسلمونا...".

بحسب ما ورد في كُتيّب "كوبارك" لتقنيات التحقيق والاستجواب لمكافحة التجسس"[14] أن هذه التقنيات تعتمد في صلبها على عقيدة الصدمة، وهي في جوهرها تؤدي إلى حالة من التراجع في الشخصية، فوجود فاصل زمني قصير للغاية يتم فيه منع الحركة الحيوية للجسم (جراء الحدث المفاجئ) يسبب نوع من الصدمة النفسية أو الشلل للشخص ويعلم المحققون أن بعد هذه اللحظة سيكون الشخص أكثر تعاونًا وتقبلًا للاقتراحات مما كان عليه قبل الصدمة.

يأتي ارتباط عقيدة الصدمة وبالتالي فقدان السيطرة بالشعور بالذل لدى الأسرى، بأنها تُفقدنا روايتنا، ذلك بحسب نعومي كلاين في كتابها "عقيدة الصدمة":

"الصدمة هي ليست حدث يحزننا فحسب لكن هي أمر يحدث لنا عندما نفقد تسلسل الأحداث نفقد روايتنا، وتاريخنا، وعندما نُصبح تائهين (بدون وُجهة). إن ما يُبقينا في حالة انتباه ووعي وخارج الصدمة هو تاريخنا وروايتنا" (Naomi Klein, 2007).

[14] CIA, KUBARK Counterintelligence Interrogation, July 1963 (released January 1997)

Part 1 (pp. 1-60) - Part II (pp. 61-112) - Part III (pp. 113-128)

2) حرمان الحواس والحرمان من الشعور بالظروف المحيطة:

إن الحرمان من الحواس بحسب بحث أجرته جامعة ماكجيل وقاده د. هيب (Donald Hebb)، هو في الحقيقة وسيلة لانتاج الملل المفرط، مما يُسبب فقدان للقدرة على الحسم والتركيز، تفكيرًا مَضطربًا، ويفقد حينها الانسان القدرة على التخيُّل أي تصوُّر أوضاع افتراضية (Zubek, 1969).

بتعبير أحد الأسرى (29 عامًا، إحدى قرى رام الله)

"شوفي في شي إسمه 'المِعبار' (معبر) بمرقوا الأسرى من هناك وقت المحاكم أو النقل وبستننوا هناك.. بخلوكِ تستنّي كتير وقت، ما بتعرفي وينتا رح توصلي ولا شو الساعة ولا شي. بس إنت بتجربي تراقبي الظروف حواليكِ لتفهمي شو الوقت، وينتا ناويين يتحركوا".

يضيف أسيرٌ آخر (27 عامًا، إحدى قرى رام الله):

"فكرة إنك مش عارفة وين رايحة.. هلأ بالمعسكر رح أظلني كم ساعة؟ فكرة إنك لسه عند الجنود كتير سيئة، بتعاملوا كتير سيء. كل شي ممنوع." ويضيف " لما طلعت الشمس كنت أفكر شو صار هلأ بالناس اللي بشتغل معهم ومخططين برنامج شغل لثاني يوم، وبالأهل والأصحاب شو عملوا لما عرفوا الخبر، وشو هلأ حيصير.. عقلك بيكون يفكر بألف شغلة."

- **العزل الانفرادي:** إن العزل الانفرادي، كإحدى الآليات للحرمان من الحواس ولانتاج "الملل المُفرط" لدى الأسير، تُعتبر بحسب الأسرى آلية تعذيب صعبة جدًا. ذلك بحكم ما تتضمنه من فقدان الشعور بالوقت، وفقدان العامل الاجتماعيّ، فقدان القدرة على الانتاج.. وغيرها من العوامل التي يظهر الربط بينها في فصل آلية التعامل مع العزل الانفرادي.

بحسب وصف أسيرة (24، رام الله):

"اليوم بفكّر إنه أصعب إشي في اللي صار هو قعدة الزنزانة... الواحد بصير بدُّه يحكي أي شي بس يُخلص، يقول أي إشي عشان يطلع من هون".

وكما يراه أسير (39، القدس):

" العزل هو من أصعب الشغلات اللي ممكن يواجهها السجين... لأنه انت 24 ساعة بحالة حوار مع حالك وصراع.. بتفكري بكل شي، بتواجهي حالك، بتواجهي المنظومة كلها لحالك، هلأ صحيح بتقدري ترسمي برنامج المواجهة تبعك وبرنامجك اليومي وتلتزمي فيه، بس بطريقة ضعيفة لإنك لحالك، بتقدريش تعبي برنامجك اليومي مهما عملتِ لإنه الجانب الاجتماعي مفقود."

وبحسب أقوال أسير (27، البيرة):

"الوِحدة في الزنازين بتضغط الأسير، مش قادر يفضفض... الحَشْرة لحالي وأنا مش عارف ليش لحالي، وبالنهاية ما معك غير الفرشة والبطّانيّة... آخر فترة كنت أحبّ أروح على التحقيق، كان بدي أحكي مع أي حدّ، ما بتميّز مين أو أي شخص، صار أي شي بيومي بغيّر جو."

- **الحرمان من النوم:** إن الحرمان من النوم ينعكس من خلال ممارسات مختلفة: كالتأخير لساعات في سيارة الاعتقال بعد الاعتقال، والإحالة إلى التحقيق بعدها مباشرة لساعات ممتدة غير معلوم موعد انتهائها، والتي يمكن خلالها الأسير طبعًا من النوم أو يتم التلاعب حينها بمواعيد نوم الأسير. كأن يفتعلوا ضجة أمام زنزانته وأن يبقوا الضوء مشعلًا طوال الليل والنهار، مما يمنع عنه وعن جسمه الشعور بالوقت.

بحسب أسير (33، القدس):

"هدا الضو بلخم.. والمشكلة إنك بعدين بتتعودي عليه، يعني مشكلة إذا بغيرولك إياه كمان... أنا لليوم بعدني بنام ع الضو".

وتأتي ممارسات التفتيش المختلفة كأساليب إضافية للحرمان من النوم في فترة الأسر في الأقسام.

3) تحويل الشأن الجمعي شأن فردي:

تحاول بعض الممارسات إشعار الأسير بأن مسألته أمام الاستعمار ومعركته معه هي فرديّة وتخصّه لوحده، وتسعى بهذا إلى إبطال عامل الوِحدة والهَمّ الواحد لدى الأسرى مما يهدف إلى الخفض من انتمائهم إلى المجموعة ومن الحِس النفسي المُجتمعي لديهم. وتترجم هذه الممارسات بحسب ما جاء في حديث الأسرى، من خلال:

إضعاف الحركة الأسيرة كوحدة، أو حركة متماسكة، فتتم محاولة تكريس فكرة تقديم العامل الفردي مقابل الجماعي من قِبَل جهاز المخابرات في غرفة التحقيق بالأمر المتكرر "فكّر بحالك!"، وتمتدّ إلى عزل الأسير فعليًا وجسديًا في العزل الأنفرادي، وتُستكمل بعد ذلك من خلال السماح ببعض الامتيازات لبعض الأفراد في الأقسام. مما يجعل من معادلة الأسر على أنها إنفراد المؤسسة الاستعمارية في محاسبة "الأفراد"، ويهدف ذلك إلى محو وتفريغ هوية الأسرى من مضمونها النضالي كمفهوم جَمعي.

تحدّث الأسرى عن فترة الصيرورة التي مرّت بها الحركة الأسيرة بعد إفراجات أوسلو، كنقطة مفصلية. يأتي ذلك لوجود أسرى من فترات مختلفة وأصحاب فترات أحكام مختلفة ومن "تأدجلوا بطرق مختلفة" تمامًا ومن كانوا ينتظرون الإفراج ولم يحدث. فقد تحدّث جزء من الأسرى عن أن عامل وجود أسرى قدامى وأصحاب أحكام عالية، قد توقّعوا تحريرهم مع إفراجات أوسلوا، قد ترك ذلك أثرًا سلبيًا عليهم حين عادت السجون لتتعبأ بالأسرى أصحاب الأحكام القصيرة (نسبةً لأحكامهم)، عند الانتفاضة الثانية. كما أن تغيُّر الظروف السياسية

في التنظيمات خارج أسوار الأسر، أدّى إلى تغيير معيّن في داخلها، وخلق تفاوت بين الطريقة التي يرى فيها الأسرى القدامى والأسرى الشباب، العمل النضالي.

وقد تحدّث بعضٌ آخر من الأسرى عن تضارب في السياسات المتبعة حتّى داخل الفصيل نفسه، والذي لعب دورًا أحيانًا مباشرًا وأحيانًا أخرى غير مباشرٍ، في ضرب الاهتمامات والأهداف الموحّدة في صفوف الحركة الأسيرة. فمثلًا وبحكم الطروحات المختلفة للأحزاب السياسية المختلفة، ينتهج بعضها نهجًا أكثر ليبراليّة وبعضها الآخر ينتهج نهجًا اشتراكيًا، في داخل الأقسام. وقد يرتبط ذلك ارتباطًا وثيقًا بعامل المصير المشترك الذي تحدّث عنه الأسرى. ففي حين اعتاد أبناء تنظيمات معيّنة على فكرة النمو الاقتصادي المنفرد والحرية للفرد، وجد جزء من أبناء التنظيمات التي اعتدات على ربط حرّيتها ونموها بالمشاركة مع المجموعة صعوبةً، مع التعامل مع التغييرات الحاصلة في الأقسام على بعض الشؤون كمصروف الكانتين مثلًا. وقد كان مصروف الكانتين في كافة السجون لدى بعض التنظيمات، مُشتركًا لجميع أبناء التنظيم مما فرض مساواة بينهم، في حين أصبح في غالبية السجون غير مشترك، وقد بدأ ذلك التغيير مراعاة لوجود اسرى أصحاب أحكام عالية، الذين قد تختلف احتياجاتهم، في حين قد أصبح اليوم أمرًا مألوفًا ومعتمدًا.

- **تقسيم الأقسام إلى مناطق وشِلل:** عبّر جزء كبير من الأسرى عن انزعاجهم من تقسيم الأقسام بحسب المناطق الجغرافية للأسرى وليس بحسب التنظيمات السياسيّة، والذي يُعتمد في السنوات الأخيرة. وقد أضافوا بأن ذلك يخلق "شِللًا" من الأسرى (أي مجموعات عفويّة، لا يجمعها هدفٌ جِديّ) والتي قد تجمعها معرفة سابقة لكن لا يجمعها العمل المشترك في

الأقسام وخلال الأسر، لغياب وجود عامل الرؤية التنظيمية المشتركة، مما يُفقد تجربة الأسر المعنى المشترك الذي منحها إياه التنظيم.

تُعرض فيما يلي بعد الممارسات العينية التي اشترك غالبية الأسرى في رؤيتها كأمور قد آلمتهم من خلال محاولتها لضرب وحدة الحركة الأسيرة وتحويل الشأن الجمعي إلى فردي.

- **السماح بالامتيازات المادية للفصائل المختلفة: امتيازات الأفراد، الهاتف المحمول:**

بحسب وصف أسير (27 عامًا، إحدى قرى رام الله) عن إفساد الامتيازات للروح الجماعية بين الأسرى في بعض الأقسام ولدى بعض التنظيمات:

> "في فصائل للأسف، بتعاملوا كأنه شركة أبوه... كان في زلمة معنا كبير في السن ومريض، صعب عليه بفيق، وفي هدا القسم بس المسؤولين بيحكوا في الساعات بعد 9 الصبح، منعوه يتصل، قالولُه عشان تتربى ما تصحى قبل الساعة 8، والله ما بتتصل قبل الاثنين الجاي... طب هدا بنسّي الإدارة (يقصد إدارة مصلحة السجون) والإحتلال قديش ظالمين.. هاي الأشيا بنسمّيها إحنا 'سجنة فوك (فوق) السجنة'.

جديرٌ بالذكر أن وصف هذا الأسير يأتي بهدف تعبيره عن تجربة عيشه في سجن مختلط، ذلك بعد أن اعتاد العيش في أقسام تابعة لحركة حماس في تجربة أسره السابقة.

تضحيتك ذهبت سُدًا: قد تحدّث جزء كبير من الأسرى عن تجربة الضغط عليهم من جهاز المخابرات وإدارة مصلحة السجون من خلال تذكيرهم بانعدام وجود أفق سياسي لاستثمار تضحيتهمان، وأنهم يضيعون سنين عمرهمان سُدًا.

وقد تحدّث الأسرى عن إرسال عدد منهم كخطوة أو كمحطة أولى للقاء أسرى قُدامى، هذه الخطوة– بحسب الأسرى– قُصد بها

"كسر إرادة الأسرى" لجعلهم يرون "كم خسر هؤلاء الذين ضحوا من عمرهم وضيّعوه هباءً"،

بحسب وصفهمان لما جاء على لسان ضُبّاط المخابرات في محاولة لنقل هذه الصورة لهم. إلّا أن هذه الخُطوة قد تركت أثرًا عكسيًا لدى الأسرى الذين تمت مُقابلتهم خلال هذا البحث، وأثرت إيجابًا في جميع من إلتقى بأسرى قدامى منهمان. فبالمُجمل عبّر الأسرى بأن رؤية هؤلاء الأسرى جعلتهم يخجلون من تضحيتهم القليلة للوطن مُقابِل هؤلاء، الأمر الذي جعلهم يُعيدون النظر بشعورهم في الأسى على أنفسهم ما بعد أيام التحقيق، التي أرهقتهم، فهم الآن يرون أن "هؤلاء الأبطال والعظماء الذين يضحون من أجل الوطن هم زملاؤهم".

كقول اسيرة (24، رام الله):

"كل الفِكرة إنهم بتعمّدوا يعرضوا قدامنا التجارب إللي 'أخفقَتْ' بنظرهم، عشان يفهمونا إننا رح نبقى هون لسنين.. ويكسرونا، وإنه ولا حد بطلع من هون إلّا إذا اعترف... لما سمعت صوت ورود القاسم بتحكي مع لينة الجربوني[15]، بلشوا يحكولي 'إحنا معك، واللي بصير عليكِ بصير علينا'.. هاي اللحظة أعطتني دفعة قوية كتيير كملت بنفسية تانية، قوية كتير.."

- **في سحب المكانة السياسة للأسرى\ الأسيرات من المناطق المحتلة عام 1948:**

تظهر محاولة تحويلهم إلى سجناء جنائيين وعدم التعامل معهم كأسرى سياسيين. ويترجم ذلك في ممارسة محاكمتهم وسجنهم داخل سجون للسُجناء الجنائيين، أي من ارتكبوا جُنح أو جرائم مَدنيّة. إن سحب المكانة "السياسية" من الأسرى في السياقات الاستعمارية وفي الحروب، هو فعل مألوف تاريخيًا وكأن فيه سحبٌ "لامتياز" مُعيّن، ويأتي كعقوبة. وقد تبدوا إحدى أكثر التجارب شهرةً في هذا الصدد هي التجربة الإيرلندية في العام 1981، والتي قد استشهد خلالها 10 من الأسرى السياسيين، جراء خوضهم لمعركة إضراب عن الطعام كان سببها سحب المكانة السياسية العسكرية لهؤلاء الأسرى، وتحويل اعتبارهم إلى أسرى

[15] ورود القاسم ولينة الجربوني: أسيرتان فلسطينيتان سابقتان، وقد سُجنت ورود القاسم لمدّة 6 سنوات بينما قضت لينة الجربوني حكم 15 سنة في الأسر ونالت لقب عميدة الأسيرات الفلسطينيات.

جنائيين.[16] وقد أعزت السلطات البريطانية في وقتها السبب إلى كون نضالهم ليس بالسياسيّ بل هي أعمال "إرهابية وتخريبية" على حد قولها.[17]

تحدّث فوكو (فوكو، 1990) عن خطورة تحويل الماهيّة السياسية لفعل التمرُّد على السلطة، إلى أمر مخالف للقانون وإلى "جناية"، وهو ليس بالأمر الجديد بحسب ما اعتبره. فبحُكم القوة التي تمتلكها السُلطة تستطيع بَسط "مَعرفة جديدة" وهي أنّ سياسة السُلطة تتمثل بالأخلاق والصواب والأمور "القانونيّة" وأن كل ما يتعارض معها هو ليس بالأمر السياسيّ، بل هو خروج عن القانون والأخلاق وهو جريمة. مما قد يمسّ من رمزية الأسر.

وقد يحمل هذا بُعدان رئيسيان، يتعلقُ أحدهما بالآخر ويصُبّان في نفس الاتجاه: البُعد الأول هو اللجوء إلى إلغاء إمكانية أن يتمرّد الشخص على السلطة ذاتها، بل إعتبار فعله كمخالفة "للقانون فقط الذي وضعته هذه السلطة"، بينما في منطقة جغرافية أخرى يعتبر نفس الفعل الرافض أو المتمرد فعلًا سياسيًا وليس مخالفة.

مما يكرّس من قيمة ومكانة البُعد الثاني؛ وهو الفصل الجغرافي والمناطقي الموجود حاليًا بين أبناء الشعب المُستعمَر. وقد ينبُع ذلك من افتراض النظام المُستعمِر، بأن هذا التعامُل المختلف قانونيًا وسياسيًا مع الفعل الرافض أو المُقاوِم، من خلال تسميات قانونية وتشريعات قانونية مختلفة، يُغيّر من قيمة هذا الرفض السياسي في الأراضي المحتلة عام 1948. فإعادة تعريفه كمخالفة قد تُفيد بأن لا يتبع هذا الرافض رافضين آخرين من نفس المنطقة.

---

[16] Paramilitary Imprisonment in Northern Ireland: Resistance, Management, and Release: (Clarendon Studies in Criminology) by Kieran McEvoy (ISBN 978-0198299073), page 217

[17] Melaugh, Dr Martin. "CAIN: Report of a Committee to consider, in the context of civil liberties and human rights, measures to deal with terrorism in Northern Ireland". cain.ulst.ac.uk.

فبحسب ما جاء في أقوال أسير (الجليل، 51)، قد تمّ أسره في الأقسام الجنائية مع أسرى مدنيين، إلّا أن القضية التي اعتقل عقبها كانت قضية سياسيّة بحتة:

> "هني تعاملوا مع القضية هيك لعدّة أسباب، يعني هني عارفين منيح إنها قضية سياسية، بس هني كان بدهن يعملوا هيك (يقصد أن يتم تحويلها لمدنيّة جنائية) عشان بدهن يضلهن مقعنين الناس هون إنه اليهود ما بهددوا العرب[18]، إنه هاي مش قصة سياسية هي قصة شخص واحد بس... وتاني إشي عشان يشوّهوا صورة العمل النضالي في الداخل (يقصد الداخل الفلسطيني المحتل عام 1948)، يعني ما حدا يجرب يشارك بعمل نضالي لإنه رح يطلع مجرم وينحبس مع المجرمين..."

يسبق ذلك العمل على تفتيت الحاضنة الشعبية منذ الأعوام الأولى لإقامة دولة الاستعمار الصهيوني على أرض فلسطين، من خلال عمليات التجهيل وصهر الوعي (المذكورة سابقًا في التمهيد في المبحث الثاني منه). وبحسب ما ورد من من أقوال أسرى من الأراضي المحتلة عام 1948، فإن الممارسة العينيّة قد تقوم على إشعار الأسرى بأنّهم جُناة من خلال أسرهم مع أسرى مدنيين قد سُجنوا على خلفية مُخالفة القانون بدافع شخصي سلبي ولتحقيق مأرب شخصي وذلك يتضمنّ حتمًا الاعتداء أو "البلطجة" على حقوق أو سلامة أو أملاك أشخاص أو جهات مُعيّنة؛ كالنصب والسرقة والاعتداءات والضرب.. وغيرها من جُنح

[18] تأتي قضية هذا الأسير، بحسب ما جاء بلائحة الاتهام التي كانت موجهة له، بناءً على ردّ له ولمجموعة من الأشخاص على قيام جنديّ في جيش الاستعمار بالإطلاق النار على مجموعة أشخاص من أبناء بلدته مما أدى إلى استشهادهمان.

وجرائم. يُتبع ذلك غالبًا لنزع رمزية ارتباطها بالقضية الوطنية العامة، مما قد يُثير في الأسرى الشعور بأنهم متساوون مع هؤلاء أو قد يُكرّس هذه الصورة عنهم مُجتمعيًا. فبحسب أسير (51، الجليل):

"يرموكِ مع ناس مجرمين أو تُجّار مخدرات.. إنت فاهمة شو؟ يعني كتير مرات إذا بتكونيش متماسكة ومتأكدة من حالك.. يعني وفاهمة شو بدهن، شو قصدهن من اللي بعملوه، كُنتِ ممكن تنهاري وتسألي حالك، ولك شووو أنا مع هدوول؟؟".. وأضاف واصفًا: "صعب.. كتير صعب".

إلّا أن فترة التحقيق ترتكز فعليًا على نفس التقنية التي يعتمدها المحققين مع بقية الأسرى الفلسطينيين، ألا وهي فصل الأسير عن السياق الجمعي لنضاله، وتذكيره بتراجع الحاضنة الجَمعيّة لنضاله وبأن نضاله قد ذهب سُدًا.

- **زيارات الأهل كأمرٍ معذّب للأسرى:**

لقد عبّر الأسرى مُجمعين على اعتبار الزيارة إحدى أهم الأمور بالنسبة لهم لسببين؛ فلهم شخصيًا هي تعني الاطمئنان على أهلهم و"بنشوفهم وبنسمع أخبار العيلة وشو صاير برا واحنا هون.." (أسير 29، قرى رام الله)، والأمر الآخر هو لاطمئنان أهلهم عليهم‌ان. في ما أجمعوا جميعًا في المقابل على اعتبار عملية ومسار زيارة أهلهم لهم كإحدى الممارسات المُذلّة للأسرى من خلال إذلال أهلهم؛ أي تعذيب الأسرى عن طريق إثارة شعورهم بالذنب، ذلك من خلال تعذيب أهلهم وتفتيشهم وجعلهم ينتظرون لساعات طويلة. لدرجة تمنّي أحدهم

"لو أهلي يختفوا من الدنيا"، في سياق حديثه عن قلقه عليهم مما قد يتعرضون له من مشقة السفر والتفتيش وساعات انتظار في وقت الزيارة، كما وأضاف:

"يعني بس هيك بتقدر تواجه من غير حساب... ما يمنعوكش تزور (لكي لا يمنعوا عنك الزيارة)، وإنت عارف إمك بتستنى تشوفك.."

كما ووافقه أسير آخر على آهمية الزيارة وكانت فعليًا أكثر ما وتّره:

"إنت لازم أيام قبل الزيارة تنشغل تحضر كيف رح تطلع لأهلك لابس، مرتب، اللي ما تبيّن عليهم تعبان أو ضعفان (قد نقص وزنه)، وتحاول تخليهم يحسوا إنه أمورك تمام هون... وبعد الزيارة بتبقى مشغول بياللي إنحكى (ما قد قِيل)، بنحكيلها 'تحميض الفيلم'.. لإنها هي زي كيف تحميض الفيلم، بتضلك ترجع على كل كلمة صارت وتتذكرها، وأحيانًا تلوم حالك لشو حكيت هيك، أو نسيت أحكي هيك.."

أمّا عن الزيارة لدى نقل الأسرى لسجون بعيدة عن مكان سكن عائلاتهم، تحدّث غالبية الأسرى عن صعوبة تقبّلهم لاستمرار زيارة أهلهم وقد تمّ نقلهم إلى سجن بعيد من ناحية جغرافية عن قريتهم أو مدينتهم – أي مكان سكن أهلهم. فقد ردّد ثلاثة منهم نفس التعبير تمامًا قائلين: "كنت أترجاها لأمي، بلاش هذا الشهر". قاصدين بذلك إقناع أمهاتهن بأن تلغين زيارتهن لهذا الشهر وأن تأتين لزيارة أبنائهن في الشهر القادم. قد عبّروا أن نقلهم هذا

يُعتبر "مرمطة" و"غلبة" لعائلاتهم، "يعني يشحطوا أهلك من قبل الفجر يصحوا ويطلعوا، وتعب عليهم.. مش سهل، بعيد، ويجوا ويستنوا هون ويرقعوهم لآخر النهار.."،

وأضاف آخر:

"وأنا أمي صحتها بتسمحلهاش تتنقل هالقد ساعات برضه... بس ما ضلش سجن ما زارته أمي، هلّأ لما بدي أنكش راس (أمازحها)، بحكيلها، هاي أصلًا خليتك تزوري كل البلاد جوّا (أي الداخل المحتل عام 1948).

أما عن المحاكم المتكررة فتتصل هذه النقطة بسابقتها، بحيث يصر الأهالي على حضور جلسات انعقاد محاكم أبنائهم، لكي تتسنى لهم رؤيتهم هناك. مما يحمّل الأهالي بحسب الأسرى نفس عبء السفر والتعب، خاصة وإن كان انعقاد هذه المحاكم متكرر.

يُضاف إلى ممارسات هذا المحور نوعان من الممارسات التي تجمع بين "تحويل المعركة الجمعية إلى فرديّة"، وبين عامل إفقاد السيطرة على ظروف الجسد. بحيث تستهدف هذه الممارسات جسد الأسير المُصاب أو المريض أو توقع بجسد أسير اعتداءٌ أو ابتزازٌ جنسيّ، وفي هذه الحالة تحديدًا– جسده يخوض المعركة وحيدًا ودون قدرة أعضاء المجموعة على تقاسم الألم والاعتداء مع الأسير أو إمكانيّة لتخفيف الألم عنه. كما ويقف من خلفها أيضًا عامل فقدان السيطرة على ظروف الجسد، لعدم ما إطّلاع الأسير في غالبية الأحيان على حالة جسمه، وهل سيتلقى تطبيبًا مناسبًا له، ومتى سيحدث ذلك إن نعم.

- **الحرمان من تلقي العلاج، للأسرى المرضى أو المصابين:**

تصف أسيرة (36 عامًا، من الجليل) عن تجربتها مع الحرمان من تلقي العلاج خلال فترة الأسر:

"انكسرت إجري وما كان في عناية طبيّة، أنا وقعت عن البُرش (السرير الذي يتألف من طابقين)، ماكانش في سلّم وحطيت إجري أنزل تزحلقت ووقعت. إجري ورمت كتير... كل الليل وأنا ماسكتها في الهوا ولا قادرة أحطها ع الأرض... بعثولي حبة أوبتالجين (مضاد حيوي) وقالب ثلج. بالعربي متت بالحياة، عرفت شو يعني الموت بالحياة".

ووصفت شعورها إزاء ما جرى على النحو التالي:

"كان عذاب كنت أتلقاه، إنه صح انت عدو، بس أقل ما يمكن علاج، حسيت إني أنا مش إنسان قُدامهن.. لما بتحسي حالك موجوعة كل الأشياء اللي حواليكِ بتصير ولا إشي... بفكّر إنه السياسة الموجودة في السجون الاسرائيلية إنه المصاب لازم يخلوه يحس إنه مصاب أكثر، إنه ينذل. المُصاب في السجن بصير يحس شو يعني استعمار، بيكون مُستعمر من الوجع والسجن وبيكونش قادر ياخد علاج".

وبحسب تجربة أسير (29 عامًا، إحدى قرى رام الله)، حين تحدّث عن تجربته مع المنظومة الطبية داخل السجون:

"بتحسي إنه الدكتور والدكتور المسؤول وطاقم الدكاترة كله قاعد بس "خايف" ع صحتك، كلهم بدهم يقنعوك بأي طريقة تفك الاضراب.. هدفهم طبعًا تنكسر وتخذل رفاقك... طبعًا في كثير أسرى مسنين وبحاجة ماسّة لعلاج، ومع هيك ما بدهم يساعدوهم ولا حتّى ينقلوهم لمستشفى".

- **الابتزاز الجنسي:**

برز من أقوال الأسرى والأسيرات استخدام الابتزاز الجنسي في الأساس من قبل جهاز المخابرات في فترة التحقيق، وليس في الأقسام، أي ليس من قِبل إدارة مصلحة السجون. وظهر في الأساس في هذا الصدد اللعب على الوتر الجندري لدى الأسيرات والأسرى، أي محاولة المَساس بدورهمان الاجتماعي من خلال توجيه كلام وألفاظ تتعلق بأداء دورهم الإجتماعي، كإهانة "الرجولة" إن كان الأسير ذكرًا من خلال تهديده بأنه سيتم الاعتداء عليه جنسيًا وأيضًا من خلال الإطالة في التفتيش العاري مع السخرية من الأسير أثنائها. أما الأسيرات– أي الإناث– فقد أفدنَ بأن غالبية ما جاء في هذا الصدد هو مقارنتهن بالنساء الفلسطينيات غير الأسيرات، وبأنّهنّ– أي الأسيرات يُخالِفن ما هو "مقبول" و"متعارف عليه" في ما يتلاءَم مع دور المرأة في المجتمع الفلسطيني. (يجري التفصيل في بند عامل النوع الاجتماعي– الجندر، صفحة 108)

الفصل الرابع

تعامل الأسرى مع ممارسات الاستعمار خلال تجربة الأسر

مُقابل ممارسات الاستعمار تجاه الأسرى والأسيرات الفلسطينيين\ات، والوارد ذكرها في الفصل السابق، عبّر الأسرى عن سُبُل التعامل مع هذه الممارسات. وقد كان تعبيرهم عن أساليب التعامل هذه إمّا بشكل تلقائي خلال سردهم لتجربتهم في الأسر، وإمّا حين تمّت العودة للتطرق للممارسات في نهاية المقابلة وتمّ سؤالهم عن أساليب التعامل معها بشكل مباشر.

قد عبّر الأسرى في غالب الأحيان عن أنهم اعتمدوا أساليب التعامل المُعيّنة بشكلٍ عفويٍّ، وذلك لقدرتها على تحقيق الراحة لهم أو "تخفف من صعوبة التجربة"، من دون إدراك آلية عملها. وفي أحيانٍ أخرى قد سرد الأسرى أساليب التعامل المختلفة في سياق حديثهم دون الوعي أنها فعليًا أساليب تعامُل فَعّالة وأنهم عمليًا في موقف الفِعل.

يعرض هذا الفصل، في ما يلي، كيفيّة تعامل الأسرى مع الممارسات الموجهّة إليهم من قِبل الاستعمار:

1) مقابل تحويل الاستعمار للمعركة من جمعية إلى فردية:

من خلال توجيه العديد من الممارسات المذلّة للأسير كفرد؛ كالإهانات الشخصية والابتزاز الجنسي وكمضايقة عائلته وقت الزيارة لإشعاره بالذنب وأنه السبب كفرد، إشعاره بأنه لوحده

في هذه المعركة وفصل قضيته عن قضية باقي الأسرى وعن فصيله السياسيّ، وحتّى عزله بشكل فعليّ وتحويله إلى العزل الإنفراديّ. إن هذه المحاولات الحثيثة لإشعار الفرد بأنه وحيدًا في هذه المعركة تسعى في أساس الحال إلى خفض الحِس النفسي المجتمعي لدى الأسير، من خلال تكريس المغزى لديه بأن المجموعة لن تدعمني ولا تستطيع دعمي.

مقابل كل هذا، إعتمد بالأساس ردّ الأسرى على رمزية السجن السياسي كمعركة جمعيّة وكاعتبار القمع الواقع عليه وعلى بقيّة الأسرى كجزء من معركة القمع العامة للشعب الفلسطيني أجمع، إضافة إلى اعتمادهم على الحِس النفسي المجتمعي من خلال اعتبار الصمود كفرد هو واجب أو مسؤولية وطنّية يُقدّمان لأجل الشعب والوطن– أي المجموعة. كما ويظهر هذا لدى الأسرى المحررين بعد 2002، بأن الصمود في وجه التجربة بات يُستمد من رمزية الأسر والتي بدورها باتت تُستمد في الأساس من العقيدة السياسة والمبدأ السياسي لدى الأسيراة والتي قد يُنمّيها التنظيم من خلال أدلجة ماهيّة الوجود في السجن. تأتي مقولات الأسرى لتُثبت أن الرمزية مرتبطة بالجَمع، وبكون الأسير جزء من هذا الجمع، فبحسب أسيرة (24، رام الله):

> "اليوم بفكّر قديش هاي تجربة اللي هي عن جد صعبة، صح ما صار ضرب وهيك.. بس كل هدا العزل عن العالم الخارجي وعم بقرروا مستقبل حياتي.. وهدا اللي بجربوا يعملوه يحسسوك مستقبلك بس كيف إحنا بنقرر وبس إذا بتحكي بتطلعي.. ومن أول يوم وهم يجربوا، ويظلوا يضغطوا ع المحل إنه حرام إمّك بتظلها تعيّط (تبكي).." واستكملت،

"حكيتلهم إمي ما بتعيّط، وبعرف إنها ممكن بتعيّط.. بس فكرت إنه في آلاف المعتقلين.. وأهلهم، وهم كمان بعيّطوا..".

وبحسب أسير (36، نابلس) تحدّث عن أن ما ساعده على الثبات خلال وجوده في السجن وبعد تحرره حين لم يستطع إيجاد عمل بسهولة لكونه أسير سابق "بجيب وجعة راس" على حد تعبيره، هو عدم تحويل فكرة وجوده في السجن عن كونها أمر شخصيّ وربطها في القضية العامّة:

"كنت أفكر إنت ما رحتش ع السجن عشان انت كفرد مطارد لشخصك عشانك عملت جنحة، إنت أسير متل باقي الأسرى الفلسطينيين لإنك بتقاوم.."

فإن تعزيز الحس النفسي المجتمعي (sense of community) غير مرتبط فقط أو مرهون بالتلقي وبالاستفادة من المجتمع ومن المجتمع كرأس مال معنوي للفرد، لكن أيضًا تعزيزه يتعلق في العطاء والبذل لهذا المجتمع. (نويل وبويد، 2010).

يقول مصطفى حجازي (حجازي، 1985، ص 112):

"بقدر تفاقم الخطر الخارجي، وبقدر تعاظم الإحساس بالتهديد للذات والمصير، يميل الإنسان إلى الذوبان في الجماعة. ذلك أحد قوانين الطبيعة، كلما ازداد الشعور بالقوة عند الكائن الحي، نراه يميل إلى الفردية والاستقلالية. وعلى العكس نجد الكائنات المهددة بيولوجياً تميل

إلى التجمع بمقدار التهديد الذي تتعرض له من آفات الطبيعة، أو من الكائنات العدوة. تعوض كثرة العدد عن ضعف الفرد ".

كما ويتحدّث غسان كنفاني في كتابه "الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1968" (ص111):

"إننا نلاحظ ظاهرة هامة، وهي توفر درجة متقدمة من التحدي الواعي، القادر إلى تحويل العذاب إلى حافز ثوري. لقد لاحظنا ذلك بوضوح في القصائد التي كتبها شعراء المقاومة في فلسطين المحتلة في أعقاب العدوان الأخير، لكن هذه الظاهرة في الحقيقة تأخذ طابع القاعدة، سواءً في مواجهة العذاب الشخصي، أو الجماعي، نهاية بالمستوى القومي."

وقد تحدّث كنفاني في حينها عن أن القصائد التي كانت هي "الأكثر توهجًا بالأمل والإصرار والتحدي" كُتبت من داخل السجن وتحت وطأة التعذيب. ذلك ما بيّنته نماذج من شعوب أُخرى أيضًا، كالنشيد الوطني الجزائري الذي يحمل تحدِّ واصرار عالميين، والذي كان قد كُتب بالدّم في سجون الاستعمار الفرنسي للجزائر.

في كل من الحالات التالية، فإنّ تعامُل الأسرى والأسيرات قد اعتمد على تحوّل الأسيراة فعلًا من التفكير بالشأن الفردي إلى المجموعة وإلى ربط ذواتهمإن بها.

كقول أحد الأسرى المحررين (28 عامًا، الخليل):

"شوفي قرأت مرة عن شي اسمه "التذرير"، كل هذا اللي بيحاولوا يعملوا إنه يخلوا الأسير يحس لإنه لحاله بالهوا، مثل الذرة الوحيدة التايهة مالهاش حد... وقلت ما راح أسمحلهم بهاد الشي. وما بدي أقضي وقتي بالقسم لحالي... صرنا نعمل أشيا مشتركة في القسم.. لحد لما ما ناسب هالشي الجميع وبحكم إنه التنظيم ما بيلزم فطلبت نقل ع أقسام الشعبية (يقصد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين)"

وقد تحدّثت أسيرة (36، الجليل):

"التعنُّت الموجود عندهن (على تصعيد العقوبات تقصد)، حسيت إني صرت زي علامة، بدهم يربوا الناس على حسابي، والإشي عكسي تمامًا، بخليني أحس بقوة ومسؤولية، بدي أطلع بإشي إيجابي من هذا الاعتقال، عشان بديش الناس تخاف تعبّر."

وفي ردّ أحد الأسرى (32 عامًا، مدينة القدس) على السؤال

"هل رافقك هذا الشعور بعد خروجك من السجن؟" (بعد أن كان قد وصف السجن كمكان قد يجعلك تكره ذاتك). أجاب: "لا، مِن مَرة (بتاتًا) لأ. ما طوّلتش لفهمت إنه هم بدهم إيانا هيك، وبدهم يعملوا فينا هيك. مش عشان بدهم يخلوني أنا تحديدًا هيك أحس، هاد حال كُل اللي معي،

وحال كل شعبنا، حاشرينهم هون ومسكرين عليهم هناك، ومشردين هدول.. يعني الحاجات الأساسية لشعبنا نفسه برضه فشي إلها مجال".

- **عن التعامل مع الزيارات:** تحدّث الأسرى عن الزيارات بمشاعر مختلطة كما أسلفنا، فهي مهمة لكي يطمئنوا عن أهلهم ويطمئنوهمان عنهم. ويتعامل الأسرى مع ذلك كما أسلفنا، في أن يُشعروا أهلهم أنهم على خير ما يُرام في الأسر هو من أهم الواجبات، خوفًا من أن يزيدوا شعورهم بالسوء حيال وجودهم في الأسر. كقول أسيرٍ: "بدك توصليلهم إنه أمورك تمام، كل شي تمام..".

وإن كان أكثر ما يؤلم الأسرى هو تفتيش أهلهم وتأخير الانتظار عليهم في ظروفٍ صعبة. فقد تمثّل تعامل الأسرى من خلال رفض هذه المعاملة والاحتجاج عليها، كما ومقاطعة الزيارة في ذات الشهر الذي تحدث فيه الزيارة، بحيث يلتحم جميعهم ويلتزمون بالقرار. فقد تحدّث أحد الأسرى (30 عامًا، مدينة القدس) عن تجربته لدى تفتيش أهله وأهل الأسرى تفتيشًا شبه عارٍ باليدين:

"إمي ما قبلت تتفتش، طلعت لبقية أهالي الأسرى وقالت كيف بنسمح بهيك شي.. ولادنا دفعوا عمرهم في السجن عشان كرامتنا نقوم إحنا نسمح تنذلّ... في الزيارة كانت لسه منفعلة، فحكت اللي صار..."

وأكمل الأسير حديثه عن مقاطعة الأسرى في ذلك اليوم للزيارات حتّى تم التراجع عن أسلوب التفتيش العاري للأهالي، والاكتفاء بالتفتيش من خلال جهاز خاص بالتفتيش، دون أن يتطلب ذلك خلع أو رفع ملابسهمان.

- **عن التعامل مع سحب المكانة "السياسية" لنضال الأسرى وتحويلهم إلى سُجناء جنائيين:**

بحسب أقوال أسير (51، الجليل)، فإن:

> "تعامُل الأسرى المدنيين مع الأسير الأمني (يقصد سياسي) كتير مُختلف، يعني مع بعض هني بدبحوا بعض، بس هني عندهن فكرة عننا إنه الأسرى الأمنيين، هدول عالم تاني.. ناس فهمانين وعندهن هدف وإرادة، وانحبسوا عشان قضية بدافعوا عنها.. فماحداش بجرب يقرب ع أسير أمني، بالعكس عندهن احترام شديد للأسير الأمني.. يعني اللي جاي عشان قضية سياسية".. واستكمل: "يعني حتى لو هني يهود ومافيات (أعضاء عصابات) ورايهن بالحلّ السياسي بختلف عنّك ع الآخر، بس خلص في احترام كبير للأسير الأمني.. يعني كانوا يقولوا انهن بحسوا حالهن محبوسين عشان ضيّعوا حياتهن ع إشياء.. بلا هدف، بس الأسرى السياسيين هني عندهن قضية وهدف عايشين عشانه".

وقد توافقت أقوال أسير آخر (21، الجليل) مع ذلك، واصفًا حادثة لوجوده في زنزانة الانتظار مع سجناء جنائيين، حينها حاول أحد السجناء تجريده من سيجارته، وقد خطف من جيبه ورقة الحكم... عندما اكتشف أن أسره جاء في سياق قضية سياسية، أعاد له السيجارة واعتذر شديدًا منه. وقد عبّر الأسير عن ذلك:

"هاي الحادثة رفعتلي الإيجو (أي الـ"أنا" بحسب فرويد) للسما! صرت أجاوب المحققين، أكبّر راس (أعانِد).. حسيت بأهميّة إنك تكون أسير سياسي، الاحترام صار مش طبيعي.."

قد تُعبّر تصريحات هذين الأسيرين بشكل واضح عن أهميّة معادلة الرمزية. ففي حين تسعى أذرع الاستعمار إلى سحب المكانة السياسية للأسرى وتحويلهم إلى جنائيين ذلك لضرب رمزية أسرهم وضرب ارتباط قضية أسرهم بقضية نضال سياسي، بس؟؟ ربطها بفعل "مخالف" والتعامل معها كجريمة.

تأتي نظرة السجناء الجنائيين أنفسهم للأسرى السياسين، ورمزية الأسر السياسي في أذهانهم، لتزيد من تعزيز الرمزية السياسية للأسر لدى الأسرى مما زاد من تقديرهم لتجربتهم، بحسب ما سبق في أقوال أحد الأسرى.

- **عن التعامل مع امتناع إدارة مصلحة السجون عن تقديم العلاج للأسرى والأسيرات:**

قد ورد في تعبير الأسرى بشكل عام الحديث عن تجارب لأسرى آخرين- زملاء لهم في الأسر، عن صعوبة العيش مع أسرى يعانون من الأوجاع ويتم منع تلقي العلاج عنهم، ولكون الأسرى في هذه الحالة عاجزين عن المساعدة مما كان يُشكِّل تحدٍّ للقسم ككل. في حين كان التعامل مع هذا الأمر يعتمد في أساسه على دعم الأسير المريض أو المصاب والاهتمام به، في محاولة لتخفيف الألم عنه، أي من مُنطلق المسؤولية تجاه الأسير المُصاب.

قالت أسيرة (36 عامًا، الجليل):

"لما بتحسي حالك موجوعة كل الأشياء اللي حواليكِ بتصير ولا إشي، فكرت بهاي اللحظة بغيري بالأسيرات المُصابات، وكان في كتير أسيرات مُصابات بهاي الفترة، فاجتهدت أشتغل أكثر على تقديم الطلبات.. لأني كنت "الدوبيرِت" (مُتحدِّثة باسم القسم) وقتها، وكررت الطلبات وأصريت عليها، عشان إذا أنا طلعت أحس حالي عملت إشي لهاي الفئة المُصابة."

ويظهر من وصفها هذا لطريقة تعاملها مع الممارسة، أنها حاولت التعامل مع الألم من خلال العمل على تجنيب بقيّة الأسيرات له.

2) عن التعامل مع محاولات إفقاد السيطرة:

قدّ عبّر الأسرى بالمجمل أن أكثر ما ساعدهم في ما يتعلق بموضوع إفقادهم السيطرة على السياق والظروف المحيطة أو على احتياجاتهمان الأساسية، هو المعرفة المسبقة لما من المتوقع حدوثة وللممارسات المتوقع اتباعها، فإما أنهم قد تعلموا عنها حين كانوا "أشبالًا" (أي في تجارب سابقة) أو تعرّفوا عليها في القسم. وبحسب ما يرويه الأسرى\ات أن أكثر ما ساعدهم في تفادي فقدان السيطرة، وإنْ بطريقة غير مُدركة، هو الجهوزية والنظام اليوميّ، من خلال فرض نظام داخلي واستباق نظام السجّان– سبق السجان بخطوة. كقول أسير (26، القدس):

"كان مهم نصحى كلنا قبل العدد[19] (أي قبل أن يأتي الضابط، في الصباح يوميًا، ليعُد أفراد القسم)، نكون صاحيين، لابسين مرتبين.." وقد تكررت فكرة "الجهوزية والترتيب قبل العدد" هذه عند أسيرين اثنين أيضًا، مما دعى الباحثة للاستفسار عنها عند نهاية إحدى المقابلات: "ماذا قصدت بقولك 'أن نكون مرتبين قبل بدء العدد'؟ ما اللذي يجعلكم تفعلون هذا"؟ وقد أفاد الأسير بأنه: "مهم نكون جاهزين ونعمل رياضة ونحضر لنهارنا بدري.. وبرضه عشان نتفادى إنهم يقعدوا يصحّوا حد فينا، لإنهم بعملوا ضجة وهم جايين يعني مش واحد واتنين.. فبتصحى ملخبط.. ومش حلوة" واستكمل.. "مرات برضه هاي القصص إنه حد مش قادر يصحى ممكن أو بتنرفز (يقصد يشعر بالعصبيّة) منهم لما يصحّوه ويتنفتر أو يجاكر أو شي، ممكن تسبب مواجهة مع كل القسم..".

وبحسب ما ورد على لسان أسير آخر، في ذات الصدد: "يعني تخيّلي إنه بشكل يومي تصير مواجهة، جسدية.. فعلية، وأحيانًا بعدها قمعات وغاز وناس بتتصاوب أو بيروحوا عزل.. بس عشان العدد. بزبطش ببطّل في عندك طاقة، بتقدريش..." واستكمل في تفسيره لما للديناميكيّة بين الأسرى وإدارة مصلحة السجون في ما يتعلّق بقضيّة العدد:

[19] العدد: هو أن يدخل ضابط إلى القسم ويقوم بعد أفراد القسم. غالبًا تكون هذه الخطوة في ساعات الصباح الباكر يوميًا، وقد تتكرر في أوقات أخرى من اليوم. في فترات وفي سجون معينة يختلف عدد المرات التي يُعد الأسرى فيها يوميًا. فأحيانًا قد يتم عدُّهم مرة يوميًا وفي فترات أو سجون أخرى كانت تصل مرات العدّ إلى ثلاثة يوميًا. في وقت العدّ على الجميع أن يكون مستيقظًا. إن كان هنالك أسير غير مستيقظ قد يكون ذلك سببًا لمشاكل أو حتّى تتطور إلى مواجهات في القسم في ذلك اليوم.

" يعني إحنا بنعرف إنه هم مش بس بدهم يفحصوا عددنا وبس، يعني كان عدّونا وإحنا نايمين، بس عشان بدهم يفرضوا حالهم علينا.. إنه احنا نوقفلهم، هم بدهم يكسرونا.. فبنعرف بنتعامل معهم بس في هاي المواضيع لحتّى نسيّر الحياة اليومية.. يعني هاي مش زي تروحي تشتغلي أو تمزحي معهم...إحنا هون بظرف مختلف."

وأضاف

"شوفي الاعتقال نفسه هو إخفاق.. خلص إذا انسجنتِ إذًا أخفقتِ بطريقة معيّنة، هلّأ السؤال كيف نقدر نكمّل من بعد هذا الإخفاق، من هدا المحل، فمهم نعمل أمور تانية مش نعيش كل يوم قمعات."

يبرز جليًا في حديث هذين الأسيرين أن الاستيقاظ والجهوزية المُسبقة للعدد تساعدهم على تفادي العديد من المشاعر السلبية كـ"مش حلوة" و"بتنرفز"، وربّما يرتبط هذا في كون ممارسة الإيقاظ المفاجئ من النوم هذه، هي إحدى آليات إفقاد السيطرة تبعًا لعقيدة الصدمة. فهي تنقل الشخص من أكثر المواقف هدوءًا وسكينة إلى الكثير من الضجيج وإلى عدد كبير من الأشخاص، مما يُسمّى "بالفرط الحِسيّ".

كما ويحاول الأسرى من خلال فكرة الجهوزية المُسبقة، صيانة تجربتهم بشكل طويل الأمد، مما يترك لهم المجال للإنتاجيّة أي ما جاء بأقول الأسير "نعمل أمور تانية"، ولإعطاء معنىً آخرًا للتجربة غير ما أسماه الأسير "إخفاقًا" والذي رأى بهذه الإنتاجيّة تخطيًا لهذا الاخفاق وإكمالًا إلى ما بعده من تحدّيات.

أمّا عمّا قاله أسير (27 عامًا، إحدى قرى رام الله) عن طريقة تعامله حين تُركَ من دون علم أو إبلاغ بموعد الإفراج عنه:

"فكرة إنك تعرفي إنك قاعدة لفترة طويلة، من جهة بتبعد عن حياتك برا، بس بتخليك ع القليلة تبني حبستك، يعني الأسير يبني في حياته داخل السجن،.... فكرت إنه هيك رح أظلني عايش إني كل يوم بدي أروّح وأجهّز حالي، وما يروحوني، بدخل في اكتئاب هيك.. وهدا الجو إللي بدهم يحطوك فيه.. فبديت أبني حبستي مثلًا اشتريت راديو وبوت (حذاء رياضي) وحضرت حالي، شو بدي أدرس شو أعمل.."

يبرز من طريقة تعامل هذا الأسير أمران: إن ما ساعده في تفسير هذه الممارسة كقوله "بدخل لاكتئاب هيك، وهدا اللي بدهم يحطوك فيه"، هو معرفته ووعيه لها كما ووعيه لكيفية مواجهتها، ذلك من خلال التحضير والتهيّئة للفترة القادمة وتخطيطها، كأنه يمتلكها، ويصنع لها معالم يسيطر هو عليها، وهنا تظهر أهمية كون هذا الأسير أسيرًا سابقًا، وأنه استفاد خبرة "تخطيط الحبسة" هذه من التنظيم الذي عاش معه في فترة سجنه الأولى. والأمر الآخر، هو أنه لإزالة الصعوبة من هذا الظرف اللامعلوم والذي لا يسيطر هو عليه، من خلال نقل السيطرة إلى يديه وحسم في ذهنه أمر بقائه في الأسر ووضع تخطيطًا زمنيًا وبرنامجًا وأهدافًا للفترة القادمة".

تعامُلًا مشابهًا في موضوعة الحسم كنتاج للحاجة لمعرفة المصير، نلحظه في تجربة أسير آخر (32، مدينة القدس)

"أصعب إشي عملوه فيَّ، إنه أبوي دخل مستشفى وأنا في التحقيق والمحقق بلش يستخدم معي هاي القصة، ويحكيلي أبوك رح يموت وبعدين حكالي أبوك مات، ومرقت لحظات خلاني افكر انه أبوي مات.. عشان أساعد حالي تعاملت انه مات." واستكمل حديثه بعد استفساري ماذا دفعه لفعل ذلك، بأنه بهذا قد أنهى دائرة التداول بهذا الموضوع كآلية تعذيب، بقوله "كنت بعرف إنه ما كان بنفع أخليهم ماسكيني من هاي القصة وأضلني مش عارف إذا توفي ولا لأ".

3) **عن التعامل مع ممارسة إفقاد الحواس:**

تحدّثت أسيرة (36، الجليل) عن تعاملها مع عامل فقدان الحواس:

"في الاعتقال الجبري (الحبس المنزلي) تغيّر الموضوع، بس في المنفى (الإبعاد في حبس منزلي مع منع الزيارة حتى من العائلة) خفت حتى إني أنسى صوتي، لأن الصوت أهم إشي بالنسبة إلي ما أنا هون لأني حكيت. كنت أقرا كل الأشياء اللي كنت أكتبها. كنت أعمل أشيا غريبة.. أمسك كل إشي بطلّع صوت، أطلب يبعثولي مسليّات أو أي إشي بطلّع صوت خفت أفقد إشي من حواسي وقتها".

- **عن التعامل مع العزل الإنفرادي:**

قد أجمع الأسرى والأسيرات على صعوبة العزل الانفرادي، ويأتي هذا بالأساس، من بين أسبابٍ أخرى، تبعًا لغياب العامل الاجتماعيّ غيابًا تامًا من حياته في هذه الفترة التي قد تطول، وللوقت الطويل الذي يقضيه الفرد في غرفة من دون مواردٍ على الإطلاق وما يحفّ؟؟ ذلك من إفقاد للحواس. إن هذا الاقتصاد الحاد في الحيّز والموارد والحياة الاجتماعيّة يُصعّب على الأسرى بشكل كبير إيجاد أساليب تعامل وتغلّب على هذه التجربة، ومع ذلك يخلق الأسرى سُبلًا معيّنة للتعامل، تلك الواعية منها أو غير الواعية:

فبحسب أقوال أسير (26، القدس):

"كنت ألعب رياضة كتير.. بس بنفس الوقت لأن ما في أكل كتير فإنت مجبور تخلي طاقة.. وغالبًا ما بتنامي منيح، بس كنت أحكي إني ما بدي أظلني قاعد ولا إشي عامل، لازم أعمل إشي..".

وبحسب ما ترويه أسيرة (36، الجليل)، عن تجربتها في العزل الإنفرادي التي انقسمت بين الزنازين وبين الإبعاد عن بلدها والحبس الإنفرادي في منزل صغير تُمنع عنه الزيارة:

عن وصفها لتساؤلاتها في العزل قالت:

"أكثر سؤال سألته لحالي وأنا لحالي (في الزنزانة الانفراديّة تقصد) وكان يجنني، هو "ليش أنا؟".. إنه ليش أنا تحديدًا؟.. وبعدين فهمت أنه لإني جزء من هدا الشعب، وكمان لإني امرأة في مجتمع محافظ من كل النواحي.. وهني بشبهوا بعض ع فكرة الاحتلال والمجتمع الذكوري".

واستكملت في ذات السياق:

"في الفترة اللي كنت لحالي (في الزنازين تقصد) ما كنش عندي كتير وسائل فطلبت ورقة وقلم فقالوا ممنوع.. وأنا بعرف إنه مسموح، بس كفلسطينية ممنوع إلي طبعًا... ما كانش في إيش أعمل غير إني أتطلّع على الغرفة حوليّ عشان أعرف إني بعدني بهاي الحياة، وصلت لدرجة إني أتطلّع.. إسا رح تضحكي عليّ (وضحكت هي)، بس كنت أتطلّع ع الصراصير، على حركة الصراصير، كانوا الإشي الوحيد اللي بيدل على الحياة."

وأضافت:

"كنت أظلني أدرّس حالي إني إذا ظليتني صامدة بهاي المرحلة، رح أقدر أكمّل لقدام، بنفعش أنكسر، كنت حاسة إني ماشية مشوار كتير طويل مش رح يخلص لا بيوم ولا بيومين، والإشي اللي بقدر أعمله كل حياتي وإللي انسجنت عشانه هو الكتابة وإسا عم بيقولولي لأ... كان في سحّاب في جاكيتي (معطفي) صرت أحفر ع الحيط.. كتبت 'نقوش مؤنثة على جدران الزنزانة' و'شاعرة وراء القضبان'، كل مشاعري، الغضب وخربشات... كانت بالنسبة إلي متعة."

- **استذكار الأغاني الثورية:**

تحدّث الأسرى والأسيرات عن دور الأغنية الثورية في بث الهِمّة فيهم ومساعدتهم على التعامل مع العزل الإنفراديّ وخلال فترة أسرهمان في الأقسام. وقد ترتبط الأغاني بالتكثيف الرمزي الذي تستطيع استحضاره إلى المخيّلة، وإعطاءه معنىً للواقع الماديّ. فبحسب أقوال أسيرة (24، رام الله) عن تجربتها في العزل الانفرادي:

"كنت أغنّي 'الوطن من لون الناس والسجن لون الحراس'، لفرقة بلدنا... ظليتني أتذكر الأغاني وأعيش فيها، وبدي أكون مثل هاي الأغنية وأطبقها وأطلع مرفوعة الراس.. هاي الأغاني اللي منسمعها وطول عمرنا متربيين عليها.."

وبحسب أقوال أسيرة (36، الجليل):

"واحدة من الأسيرات مثلًا خطب ابنها..حسينا إحنا الأسيرات بمسؤولية، إنها لازم تفرح بخطبة إبنها كان لازم نساوي (نعمل) إشي، ... جمعنا كل القسم في غرفة، اجبرنا نقعد ع التخوتة (الأسِرّة) وبلشنا نغني، والإشي الغريب إنه الأغاني اللي غنيناها وقتها كانت أغاني ثورة مش أغاني فرح.. كنا نصرخ ومن قلبنا نغني".. وأضافت: "الموسيقى الوطنية وإذاعة الأسرى لما كنا نقدر نلقطها كان يتغير الجو في الأقسام...".

تحدّث الأسرى عن دور الأغاني الشعبية والثورية في رفع المعنويات وبث روح الحماسة في الأقسام تحديدًا قبل بدء مواجهة معيّنة مع إدارة مصلحة السجون، كإعلان الإضراب مثلًا. فبحسب أسير (23، القدس):

"ليلة الإضراب بنكون بنغني أغاني الثورة، وحلو الجو.. بيكون عاجق وبنشجّع بعض".

وقد وافقته أقوال أسيرة (18، القدس):

"لما كانوا يضربوا الأسرى، كنا نرفض وجبات ونبدا نغني الأغاني الوطنية كلنا.."

يبرز من خلال هذا الفصل اعتماد الأسرى في التعامل مع الممارسات الموجهة ضدهم من قبل إدارة مصلحة السجون أو المحققين، على ثلاثة آليات أساسية:

في المحور الأوّل ردِّ محاولة "التذرير"، كما أسماها أحد الأسرى، أي ردّ محاولة تحويل الاستعمار المعركة الجمعيّة والشأن الجمعي إلى معركة وشأنٍ فرديين، مما يُفضي إلى الخفض من الحِس النفسي المُجتمعيّ المتعلقّ المعتمد على العامل العلائقي بين الأسرى فلا تجمعهم نفس المعركة والأهداف لأن معاركهم مختلفة.

ويأتي هذا الردّ من خلال لجوء الأسرى إلى آليتين: التمسك برمزيّة المجموعة من خلال الأغاني الشعبية أو تذكّر أنه جزء من مجموعة والإصرار أن شأن هذه المعركة ليس شأنه وحده بل لأنه جزء من مجموعة، وثانيًا ارتفاع الحِس النفسي المجتمعي لديه١١ والمُعتمد على مُركّب التضحية والبّذل من أجل المجموعة، وليس اعتمادًا على تقديمها للدعم له١١.

الثانية هي: تحدِّ عامل افقاد السيطرة الموجه إلى الأسرى، المبني أساسًا على عامليّ "اللامعلوم" وعلى عقيدة الصدمة، من خلال محاولة المعرفة المُسبقة لدى الأسرى والتي أتت إمّا من التثقيف أو من بناء نظامٍ يوميّ يسبق "صدمة" السجّان بخطوة.

الفصل الخامس

النتائج وارتباطها بالعوامل الأربعة

يعرض هذا الفصل النتائج التي أفضى إليها البحث، ويحاول تفسير جزء من المفاهيم الواردة على لسان الأسرى في وصفهم لتجاربهمان في الأسر، من ناحية نظرية. كما ويقّدم هذا الفصل عرضًا لدور كل من العوامل الأربعة: الدائرة الشخصية للأسيراة، رمزية الأسر لديهاا، النوع الاجتماعي، التنظيم الذي يعيش معه الأسيراة؛ في صياغة وتشكيل تجربة الأسر.

النتائج:

– في ما يخص **تقييم الأسرى لتجربتهمان عامةً في الأسر:**

- تباين وصف **فعل الأسر** ما بين الأمر "السيء"، "تجربة قاسية" و"الإخفاق" و"شي مقرف"، تجربة "غير جميلة" أو "غير مريحة" من خلال وصفها بأوصاف مختلفة وقاسية غالبًا (يتم التوسع لاحقًا).
- في النظر إلى **تجربة الأسر** قيّم جميع الأسرى والأسيرات التجربة على أنها أساسية ومُشكِّلة في حياتهمان بوصفها بالتجربة: "المفصلية" أو "المُشكِّلة لذواتهمان" الحاليّة. وقد عبّر الجميع عن تقديرهم لهذه التجربة وأنهم لا يندمون عليها، ذلك مقابل وجود تعابير واضحة للحظات عينيّة في الأسر يتمنّون عودتها: كضحكات الرفاق\ الزملاء\ الأخوة

في الأسر، إنتصارات على السجّان، الوجبات المحضرة من لوازم بسيطة.. وغيرها. في المقابل، إن أحدًا منهم لم يودّ لو أن تُعاد كاملة (حتّى لو لم يتطرق لهذه النقطة بشكل مباشر برز ذلك من خلال مقولات مثل: "إن شاء الله (لا تُعاد)"، "لا قدّر الله". تحدّث أسير (27 عامًا، إحدى قرى رام الله):

"صحيح هي تجربة ظروفها مش سهلة، بس بتحسيش بندم، الواحد بعدين بيناقش التجربة مع الناس التانيين لما يروّح. أنا انسجنت فترة عشان عمل طلابي.... السجن بصير يخليكِ بدك تكملي لقدام أنا مش لحالي هاي ناس معي، عايش معهم، بتعرفي؟ علاقات السجن هي أقوى من كثير علاقات بعد السجن."

وقد ذكرَ غالبية الأسرى والأسيرات هذه النقطة الأخيرة– كون علاقات السجن تترك أثرًا مميزًا لديهمان، وأنها الصداقات الأكثر قوّة وصلابة في حياتهم".

وأضاف أسيرٌ (30، مدينة القدس) حول اعتقاده بسِرّ قوة هذه العلاقات:

"هاي الصداقات أبدية، متل العيلة بحسها، شو مالك؟ ناس بتمرقي معهم أصعب ظروف، بتوفُّر المينيموم (الحدّ الأدنى) تبع الأشياء، بتنضربوا مع بعض وبتفرحوا مع بعض وبتحزنوا وبتواسوا بعض، حياة اجتماعية تانية داخل السجن، بس مع ظروف قاسية... ومع بساطة، وبتشوفوا بعض بكل حالات بعض وبتضلوا متماسكين..".

وبحسبِ ما أضافه أسيرٌ آخر (33، مدينة القدس) بخصوص معنى تجربة الأسر له:

"أنا اليوم مناضل مؤدلج بَحسِب حالي.. قبل هيك، قبل الحَبسة يعني، كنت مناضل مش فاهم، عفوي إذا بزبط نقول..".

وعلى حدّ تعبير أسيرٍ (27، رام الله):

"السجن بحد ذاته هو فشل، وهو محاولة لتصفية دورك الاجتماعي والسياسي... بيبقى كيف تستغل الوقت... السجن كان نقطة الانفصال العاطفي عن اهلي". أما في إجماله للحديث عن تجربة الأسر، فقد أضاف: "حجر أساس في بناء حياتي، بلاقيها تجربة إيجابيّة".

أما بحسب أسيرٍ (26، مدينة القدس):

"السجنتين كانوا أسوأ مرحلتين في حياتي.. وأهم مرحلتين لصقل شخصيتي".

وبحسب أسيرة (36،الجليل):

"برا السجن كنت أكتب كل تلات لأربع أشهر .. كنت أكتب قصيدة في الأدب المقاوم. وأنا في السجن كنت كل الوقت.. كل قصايدي سياسية... السجون مش عم بتحقق هدفها أبدًا، بتعمل العكس من اللي بدها إياه إسرائيل.. هي مدرسة سياسية، لتشكيل الهوية السياسية".

ويراه أسير (22، مخيم قلندية):

"هو صح بتكون تستنى تروّح... بس بتعرفي، أنا لوما انسجنت ماكنتش بحياتي بفكّر أتعلّم، بس هيني عم بسجّل للتعليم ورح أتعلم الفصل الجاي".

– تحدّث الأسرى دون استثناء عن **تجربتهم في التحقيق**، بالرغم من أنه لم يتم السؤال عنها تحديدًا بل عن تجربة الأسر ككل، والعيش في الأقسام بشكل خاص. وقد ذكر جزء كبير من الأسرى والأسيرات تجربة التحقيق في بداية حديثهم كالتزام ذاتيّ من قبلهم بترتيب الأحداث– حيث يأتي التحقيق غالبًا قبل الفرز إلى الأقسام (أحيانًا يتم الفرز للأقسام من دون تحقيق). بينما عاد الجزء الآخر لذكر تفاصيل عن تجربة التحقيق عند الحديث عن تأثيرها على بقية فترة الأسر ومقارنتها مع مواقف هنالك، كما وتأثيرها على التجربة ككُل.

– **برز دور أساس للشعور النفسي المجتمعي** في إعطاء معنى لتجارب الأسرى والأسيرات وحثّهم على عدم الانكفاء في تجربة الأسر بل استكمالها بشكل أكثر فعالية وإنتاجيّة، ذلك من خلال اعتمادهمان على تفسير تجاربهمان من جانب البذل والعطاء للمجموعة كمسؤوليّة. فيرتفع لديهمان الحِس النفسي المجتمعي حين يرتبط مع تقديمهمان لمجموعة أقرانهم في

الأسر أو في القسم، لأبناء وبنات شعبّهمإنّ ولمعنى القضيّة، وليس فقط حين يتلقواايَن الدعم من المجموعة أو من الحاضنة الشعبيّة.

بما معناه أن مركّب مسؤولية البَذل من أجل المجموعة في رفع الحِس النفسي المجتمعي لدى الأسيراة، يأتي كتعويض عن تراجع مركِّب الدعم أو الحاضنة الشعبية.

يتفق هذا والمفهوم الحديث للحس النفسي المجتمعي، الذي أفضى عنه بحث نويل وبويد (Nowell& Boyd, 2010) ، بحيث يتعلّق هذا المفهوم بارتباط الحِس النفسي المجتمعي بمسؤولية الأفراد تجاه مجموعتهمإن والذي يرتفع ويتبلور حين يُقدّمون للمجموعة ويقومون بالعطاء والبذل من أجلها، في حين اعتمد المفهوم لحس النفسي المجتمعي بحسب الأدبيّات الكلاسيكيّة لكونه متعلقٌ بما تُقدّم المجموعة للفرد من دعم.

يتجلّى ذلك بأقوال أسيرة (36، الجليل):

> "... والتضحية للآخرين كانت كتير تساعدنا إنه كنت أحس أنه أنا عشان أساعد نفسي لازم أقدّم لغيري، فبلّشت متلًا أعطي دروس عبري، بلشت أعطي للأسيرات دورات كتابة إبداعيّة.. وبالفعل جزء من الأسيرات صاروا يكتبوا وييجوا يقرولي أشوف.." (مع ابتسامة عريضة).

– برز دورٌ هامٌ **لعامل الرمزية** في تعامل الأسرى مع تجاربهم في الأسر. فكان لعامل رمزيّة الأسر دورٌ في تعامُل الأسير مع الممارسات العَيّنية وآخرٌ في تعامله مع تجربة الأسر عامةً.

وترتبط رمزية الأسر ارتباطًا وثيقًا بالحاضنة الشعبية وبإرساء المعرفة بين أبناء الشعب حول قيمة فعل الأسر فيه وماهيّته نسبةً لهم. ويظهر تأثيرٌ جدّي لهذه الرمزية في العوامل الأخرى للبحث؛ الدائرة الشخصية للأسيراة، التنظيم الذي عاش لديه، والنوع الاجتماعي. فتستقي جميعها رمزية الأسر من الرمزية السائدة مجتمعيًا للأسر، وتتأثر منها على أقل تقدير. وقد لجأ الأسرى بشكل واضح إلى الرمزية في كل واحدٍ من العوامل الثلاثة الأخرى، وكأن أحدها لم يكن كافٍ لفهم الصورة بالنسبة للأسرى وتحديد أسلوب التعامل معها، من دون إعادة تعريف الوضع القائم – الماديّ– وربطه بوضع رمزيّ.

وزاد هذا الاستناد الواضح مِن قِبَل لأسرى إلى تحويل المواجهة إلى رمزيةٍ وربطها بشكل مباشر بالأمور الساميّة كالوطن والقضية، حين غاب إسناد أبناء شعبهم لهم بشكلٍ حادٍ بل وبدا منهم ردٌ متناقض أو حين كانوا هم مَن أسرهم أو سلّمهم للاستعمار– كلحظاتٍ لاقى فيها فعلهم المقاوم نوعٌ من"الشيطنة" (كمؤخّر للعملية "السلميّة")، أو كأسرهم في سجون السلطة الفلسطينية. (للتوسّع، راجعوا بند الرمزيّة صفحة 98)

– تُشير ردود الأسرى في حديثهم عن تجربتهم وتقييمهم لها إلى ما أسماه البعض منهم بشكل مباشر، أو تطرّق إليه آخرون بمسمىً غير مباشر، بـ"**الولادة الجديدة**" أو تشكيل إنسان جديد أكثر قوّة وصلابة، جراء خوض هذه التجربة والتعرّض المكثّف لممارسات الاستعمار. ويأتي وصفهم هذا ليتعدّى المفهوم العاديّ أو السائد لظاهرة "**الجَلَد**"، الذي من خلاله يُوصف تحمّل الفرد وثباته في تجربة معيّنة لكي يحافظ على ذاته بحيث لا يؤثروا به سلبًا ولا يحدثوا

عليه ضررًا لا يُرَدّ، بل يتعدّاه لينطلق الفرد أبعد من المحافظة على الذات، إلى استغلال وتطويع التجربة من أجل تطوير الذات.

كقول أسير (27، البيرة):

"التجربة كتير قوّتني.. صقلت شخصيتي، خلتني أشوف الحياة بطريقة أفضل وأحسن، في كتير شغلات بتصير تشوفها أحسن بعد ما تنحبس...سجنتي قوّتني، ثقفتني كتير ما كنتش رح أتعلّم لوما انسجنت، كنت أكيد رح أطلع من الجامعة، بس هلّأ بالعكس، سجّلت أكمل في الجامعة وهلّا في الحركة الطلابية في جامعتي".

وتوافقه أقوال أسيرة كما وافقتهما أقوال غالبية الأسرى:

"قوّتني هاي التجربة، وبالعكس خلّتني مُصرّة إننا لازم نكمّل، بالذات بالشغل ع قضيّة الأسرى..."

- **الفرق في الدور الاجتماعي**- الفرق الجندري: هنالك فرق بالممارسات التي تتبعها سلطات الاستعمار من محققي مخابرات وإدارة مصلحة السجون بين الأسيرات والأسرى. مستخدمةً ورقة الضغط "المجتمعيّة" تجاه الجنسين: الأسير يهدد برجولته كفرد منتج مموّل لعائلته وعائلته المستقبلية، بينما تُهدد الأسيرة بأهلها ومجتمعها الذي سيرفضها كمخالفة "لأنوثتها"، كما وتُهدد بعلاقاتها الاجتماعية مع شبان\ رجال، ومن خلال تعاملها مع جسدها أثناء العزل- بالأخص أثناء الدورة الشهرية (لتعود وتستمد قوتها من المجموعة في الأقسام).

أما على سبيل المواجهة وتعامل الأسرى والأسيرات مع هذه الممارسات فلم يكن هنالك فرق يُذكر بين الجنسين، بل لجأ اثنيهما إلى عاملي الرمزية والحِس النفسي المجتمعي كمسؤولية كدعائم لتعاملهم بثبات مع تجاربهمان. (للتوسّع، راجعوا بند الدور الاجتماعي صفحة 108)

– عبّر غالبية الأسرى بأن هنالك علاقة بين ما تعلّموه داخل السجن، أي مع من عاشوا وكيف كانوا يقضون وقتهمان، وبين قدرتهمان على التحصُّن في وجه هذه التجربة. (للتوسع راجعوا بند عامل التنظيم صفحة 113)

– يلعب **عامل الذُّل** دورًا هامًا في الطريقة التي يستكمل الأسرىاات فيها تجاربتهم في الأسر أو حياتهمان بعدها. فقد عبّر جميعهمان عن أن عامل الذل هذا جعلهم يُصرّون على مواقفهم أو يبنون مواقف ثورية مؤدلجة. كأن لحظات المواجهة تصنع هذا الشعور بالنِدّيّة وأن نصرًا مُعيّنًا يزيد من تقدير الأسير لقدرته على المجابهة وأن يكون نِدًا، ذلك ما تصفه عمليًا الباحثة لينة ميعاري عن بحثها في تشكُّل الذات الثوريّة كعامل مُساعِداوكنتيجة لممارسة الصمود (Meari,2014). (للتوسع راجعوا عامل الدائرة الشخصية صفحة:92)

بحسب أقوال أسيرة (24، رام الله):

"كنت أحس صعب... بس كنت أقول لحالي بما إنك مريتيها لحالك أول مرة وما انكسرتي بعد هلّأ بتصيري أقوى... كنت أفكر إنه عيب في ناس مقضيين سنين وتجربتي أنا شو.. صغيرة، في ناس اللي انضربوا وأعطوا

من عمرهم.. وهاي كنت أفكر فيها جوا وبفكّر فيها هلّأ بعد ما طلعت..".

وبحسب أسير (27، البيرة):

"كبداية أول ما دخلت ع التحقيق، كنت بسأل حالي بيني وبين حالي.. إنه أنا لشو عملت هيك، ليش عملت هيك لحالي، والصراخ والتّف والتهديد من المحققين.. مع إني دخلت السجن أصلًا لأنهم ما احترمونا وأهانوا أبوي ع الحاجز لما كنّا نازلين... وأنا ما رضيتش الذلّ..." واستكمل: "بس لما الأسير يدخل السجن ويشوف ناس تانيين مضحيين، سنين طويلة هون ومقدمين تضحيات.. استحيت أحكيلهم عن اللي عملته، أنا ما قدّمت إشي."

وتوافقه أقوال أسير (21، الجليل):

"هاي التجربة مع كل صعوبتها، وقديش جرّبوا يرعبوني، والتهديدات وهاي الشغلات.. وَعّتني أكثر، خلّتني أقدر أتطلّع على الأمور بطريقة تانية". وبحسب ما وصف مستكملًا: "لما شفت أسرى كبار أبطال مثل هدول.. إنه ناس احنا كنا منقول إسمهم بالهتاف ومنحس بفخر، لما شفتهن قدامي وحكينا، حسيت حالي.. إنه شو أنا قاعد مع هدول الأبطال...، وهني كانوا كتير مبسوطين فيي إنه تهمتي سياسية وأنا من ال48 (الأراضي المحتلة عام 1948).. طبعًا هاي لحالها أعطتني دفعة

مش طبيعية! يعني معنوياتي، كل اللي صار والتحقيق والإهانات كله بَطّل (لم يعُد) مُهم..".

أما بحسب ما عبّر أسيرٌ آخر (39 عامًا، مدينة القدس):

"في القدس كانت مرحلة مواجهة مفتوحة وبكل الطرق... يعني كان في جَوّ من المواجهة... هلّا أنا كنت لسّه صغير، مش فاهم بجد شو اللي بعمله.. يعني فاهم، بس مش واعيلُه بجد.. بس اكتشفت أهميّته في الاعتقال... لقيت المحققة بتمسح العلم بكندرتها (حذائها)، هلّأ أنا صغير ما فهمتش شو اللي قادرة تسوّيه قطعة القماش بكل الوضع هاد، بس فهمت إنه في إلُه مردود إيجابي لإنه قاهرهم. مزبوط كان صعب الموضوع، بس كنت أطلع بشعور إيجابي بكل مرّة، بكل مرّة كنت أطلع مفهوم إلي أهمية العمل وأطلع بدافعيّة أكبر..".

وحسب أقوال أسيرة (36، الجليل):

"الكتابة الإشي اللي كان يساعدني، كانت كتير تساعدني.. لأنه ***** (اسمها) هي الكتابة، بلشت أكتب من جيل 7 سنين، الكتابة بالنسبة إلي هي الخلاص لكل شي، بغض النظر أو لأ وهي الحق الوحيد اللي ولا حدا بقدر يمنعني منه. بالرغم من إني مُعتقلة أصلًا عشان كتابة فكان الموضوع بالنسبة إلي كتحدٍّ؛ اعتقلتوني عشان الكتابة،

خذوا، هياني عم بكتب أكتر. يمكن أكتر فترة كتبت فيها بحياتي هي فترة الأسر إذا كان في المنفى الإنفرادي أو الأقسام، أنتجت كتير.."

– على صعيد تجربة **العزل الانفراديّ**، قد عبّر غالبية الأسرى (باستثناء أسيرين) وكافة الأسيرات ممن قضوا فترة حبس انفرادي، بشكل قطعي عن صعوبة تجربة الحبس الانفرادي مقابل تجربة الأسر داخل الأقسام الجماعية.

كتعبير أسيرٍ، بإجرائه لمقارنة تلقائية بين أفضلية تجربة الأسر في الأقسام عن تجربة العزل الانفراديّ، في وصفه لتجربته في العزل الانفرادي:

"السجن أريح من التحقيق والزنزانة، لما الواحد يعرف في سجن بتريّح." واستكمل: "لما بقيت لحالي (في العزل الانفرادي يقصد)، بقيت أتخانق انا وشرطي ع الضو، ع سيجارة، ع الأكل.. بس أعرف إنه ما في إلي حدّ. فما أشدّ.. بس مع الجماعة لما مرّة صيّح عليّ السجان هجموا عليه الشباب.. دايمًا الجماعة بيكون موقفها بطلب أي شي أقوى، كل واحد بشجّع الثاني بنقوّي بعض. كنا نحكي مع الزنازين اللي حدنا، ندق ع الحيطة وناخد قرارات في الطلبات مع بعض، كنا منضطرهم يتعاملوا ألطف (يقصد السجانين وإدارة مصلحة السجون)، من كيف بتعاملوا بالزنازين الفردية.. بجوز هاي الأمور كتير تافهة للي عايشين برّا، بس فكرة إنه الشباب هرّبوا ولّاعة، بتِغنيكِ عن طلبها من السجّان.. ما هو

كل مرة بيجي بيرمي كلمة، بيتف عليك أو ما بيعطيك إيّاها.. في العزل بتبقي تصرخي تطلبي الخبز وما بيجيبه، وإحنا لا مؤاخذة، الوجبة الرئيسية عنا هي الخبز..".

وقد عبّرت أسيرة (36 عامًا، الجليل) عن صعوبة تجربتها في الاعتقال الجبري، الذي حتّم عليها الإبعاد عن بلدها والمكوث في بيت صغير حيث تُمنع عنها الزيارة فيه لمدة ستة أشهر:

"بالنسبة إلي الاعتقال الجبري ومن بعده الحبس البيتي أصعب بكتير من السِّجن. كنت أعتبر حالي عشت في زنزانة منفردة.. تمامًا. بعيدة عن كل شي ولا أهلي كانوا بيقدروا ييجوا ولا حدا وتليفون ممنوع أحكي. بكل لحظة كان بدي أتصل وألغي الصفقة وبدي أرجع ع السجن (تقصد الأقسام حيثُ عاشت سابقًا)."

وقد أضافت مُقارِنةً بشكل تلقائي بين الاعتقال الجبري والسجن:

"في السجن كنت أشوف أهلي كل أسبوعين، في حياة اجتماعية في السجن.. كنا عاملين حياة اجتماعية.. بقول عنه قرية مُصغّرة أنا". وأكملت وصفها على أن "القسم عبارة عن قرية، غرف القسم كانت البيوت، وكل بيت فيه عيلة، مجموعة من 5–6 أسيرات في كل غرفة– عيلة كنا نعيش بكل معنى الكلمة! كنا نعيش كل اللحظات الفرح والحزن.. كنا بحاجة نكمّل صمودنا، تشكيل الحياة الاجتماعية بيناتنا هي

وسيلة الصمود الوحيدة.. اللي بتخلي الانسان يكمّل.. ومع ظروف الأقسام بأدنى شروط المعيشة وبأبسط الأشياء..."

إن الأسيرين الوحيدين اللذين لم يجيبا بشكل قاطع حول أفضلية الأقسام عن العزل الإنفرادي، قد أجابا أن الظرف العَيني قد يُحسم أيهما أصعب، بحيث قال أحدهما:

"بتعلّق، يعني الحياة الإجتماعية في الأقسام وفكرة انك بتعيش مع ناس كتيير بتساعد، بس بدّك يكون في معك ناس مرتّبين، أو على أقل تقدير ما يضلهم ينكدوا ع بعض أو يصعبوا على الجداد. بتعلق كمان إذا كنت معترف (يقصد متعرفًا بالتهم التي يتم التحقيق مع الأسرى فيها) يا إمّا لا، وإذا كانوا بتعاملوا بطريقة صعبة مع المعترفين بتخليهن يندموا أكثر ويتمنوا يطلعوا لو ع انفرادي وبعرف حد صار معه هيك... إذا بتدخل قسم صامد بتضمن يتعاملوا غير.."

وقال الآخر:

"الحلو في القسم هو وقت المواجهة مع السّجان بيكون المطلب أقوى لما جماعة، يعني زمان كانت الإضرابات الجماعية تهز السجون.. اليوم بعد الإضرابات الفردية، أقل... بس المشكلة في الأقسام بتكون لما ما في عندك قرار موحّد أو مثلًا مش كل اللي بالقسم جاهزين يخوضوا مواجهة، في ناس كبار (مُسنّين يقصد) ناس مرضى بتقدريش تتوقعي منهم

يواجهوا فبتضطري تهدّي.. وبالانفرادي هاي الاعتبارات مش موجودة.. بتقدري تروحي بالأشيا للآخر..".

– من خلال المضمون العام للمقابلات التي أجريتها تبيّن أن هنالك علاقة بين كيفية تعامل الأسير مقابل ممارسات الاستعمار التعذيبية خلال فترة الأسر وبين كيفية رؤية الأسيراة لتجربتهاا في الأسر اليوم: هل لا زال يحمل هذه التجربة معه، وكم وما يحمل منها؟ ("انت بتطلع من السجن، بس السجن ولا عمره بطلع منك") كم نجحت هذه الممارسات باشعاره بأن **مجهوده كان سدًا، وأنه دفع الثمن بشكل فردي؟**

بحسب أقوال أسير (27، رام الله):

"السجن علّا السقف لشو بستاهل، أنت بتصير تتطّلع ع حالك إني أنا إنسان صمدت، قبال كل الضغوطات والمحققين وذلّ السّجان، بتحسّ إنك بتقدر تعمل شو ما بدّك إذا بتقرر". وأضاف ضمن حديثه في سياق آخر: " في الحبسة الأولى، كانتلي مسؤولية قبل أوانها.. وتعلّمت أن الظروف بتخلِق لأني تحمّلت مسؤوليات اكبر من جيلي بفكر... في الحبسة الثانية مثلًا كنت الكبير في القسم وبقود الأشبال، مسؤول عن تثقيفهم، يلتزموا بالنظام.. وهاد أعطاني كتير... واليوم... كيف أنا ما بقدر أقعد، بظل أبادر وأبعث قراءات...(قصد كونه اليوم في حياته شخصًا ناشطًا، وقيادًيا)".

وبحسب أقوال أسيرة (36، الجليل):

"لما عميدة الأسيرات اختارتني (لكي تكون المتحدّثة باسم القسم)، حسيت برهبة كبيرة بس بنفس الوقت بعِزّة، إنه إذا لينة قالت هيك هيك بثق فيي.. فما شفت باقي الأسيرات وافقوا، قلت أنا رح أفني نفسي عشانهن... الأسيرات أعطوني هاي القدرة إني أكون بهدا المحل، إنه أسيرات سياسيات يوثقوا بأسيرة جديدة ما إلهاش شهرين.." وأكملت: "تجربة صعبة كانت، بس عبّتني كتير مشاعر، كنت عنيدة نوعًا ما مع الإدارة، كنت بدّي أعمل كل شي عشان أغيّر الوضع.." وأضافت في سياقٍ آخر: " أنا اليوم موجودة بإقامة جبرية بس أتحرر بدي أروح لكل واحد موجود في إقامة جبرية عشان أساعده بس كيف يتغلب ع الإقامة الجبرية"... "بعد التحرر صرت بانية ومخططة لحياتي، شغلي رح يكون مختلف تمامًا عن شو كان".

– تحدّث بعض الأسرى والأسيرات عن أن هنالك أمور– على صعيد **العادات الجسدية أو الأداء والتصرفات**– قد اكتسبوها أو بدأوا يلاحظونها ويشعرون بها في السجن أو فور خروجهم من السجن ولا زالت ترافقهم من بعد خروجهمان منه وحتّى اليوم. وعند سؤالهم إن كانوا كذلك قبل تجربة الأسر أيضًا، فقد أكّد غالبيتهم أن هذا الأمر لم يكن موجودًا قبل ذلك بينما قال البقية أنهم لا يذكرون وجوده قبل الأسر. مثل هذه الأمور كانت:

* الاستغراب من الليل والشعور بالرهبة منه: فبحسب قول أسير (32 عام، مدينة القدس، وقد أمضى أربعة أعوامٍ ونصف في الأسر وهو حُرّ منذ عدة أعوام):

"يعني عارفة؟ أنا الليل بعده لليوم بلخبطني.. (لاحظ على ملامحي أنني لم أفهم ماذا يقصد، فشرح) الليل إنه لما تليّل الدنيا المسا، بستوعبوش بعدني.. لساتني بستغربه بظل ناقز منه... (حين سألته ماذا يعتقد السبب وراء ذلك، أجاب) أربع سنين ونُص، أكتر شوي، ما شفتش ليل.. من مرة. الفورة[20] كانت دايمًا بالنهار..".

* صعوبة النظر في الافق (30 عام، مدينة القدس، وقد أمضى 4 سنوات في الأسر):

"أنا لليوم بعدني، بقدرش أطلع لبعيد، يعني بخط الأفق.. بتعب أذا بتطلع عليه لشوي، هاد صار مباشرة بعد السجن... يمكن لأن في السجن ما كانت مسافات لمَدّ النظر".

* صعوبة النظر التحرك تحت الشمس: (31 عام، رام الله، أمضى 6 أشهر في الأسر):

"كتير بحس بدي شمس، بس بتضايق.. وجع راس ووجع في العينين ببدا من هون (أشار إلى جبينه) وبكمل للراس من ورا". وأضاف أسير آخر (30 عام، القدس، 4 سنوات من الأسر): "بستصعب أتعامل مع الشمس، بحس ضو قويّ".

[20] الفورة: هي استراحة الأسرى، وهي عبارة عن ساعة يوميًا يقضونها في ساحة خارج غرفة القسم.

* صعوبة التركيز لوقت طويل، كتعبير أحد الأسرى (26 عام، مدينة القدس، أمضى ما مجموعه 5 سنوات في الأسر):

"كنت أشوف ناس بقعدوا وبكتبوا وهاد الموضوع بيساعدهم.. بس ما لقيتيش إلّا أنا أقعد وأكتب، بقدرش". وتعبير آخر (30 عام، مدينة القدس، أمضى 4 سنوات في الأسر) عن نفس الموضوع: "بعدين ما بقدر أركز أدرس أو أقعد ورا طاولة مكتب، بتفرفط روحي، بموت".

* القيلولة: كتعبير أسير (33، مدينة القدس):

"ولليوم بعدها ع فكرة عندي.. القيلولة وقت مقدّس، من الثوابت الوطنية هاي (قال ضاحكًا)، لو بآخر الدنيا مجبور أضرب قيلولة، بعدها برجع جديد".

* الاهتمام بالمناسبات الاجتماعية والالتزام بحضورها (33 عام، مدينة القدس):

"فش وبعدنا لهلأ كل حد انسجن معنا كل رفيق بيكون عنده أي مناسبة، لازم نشارك، بنعزي بنبارك، شو ما يكون بحس لازم أروح." وبحسب أقوال أسيرة (الجليل، 36): "بعدني لليوم براكض ورا الأسيرات، وبتصل بالمحامين، بالأهل، مين بيزور؟ مين بيزورش؟ بتطمّن على كل الأسيرات واللي طلعوا.. خلص صارت زي عادة."

يرى بورديو (1990) أن عادات الجسد تمثل بمعنى ما " ذاكرة الجسد" التي تبلورت من خلال التفاعل العملي بين الجسد والبيئة المحيطة به.. لأن نرى الجسد بوضوح كجسد "مُصاغ اجتماعيًا."

إن الجسد كما يتبدّا لبورديو، يُعدّ سجلًّا Record حيًّا لذاكرة المجتمع فهو يحمل كل الممارسات والأنشطة التي أبدعها المجتمع– يقصد البيئة والمحيط– والحديث في هذا السياق هو عن السجن كبيئة أو ممارسات المجتمع الأسير.

وكقول أسيرة (36، الجليل):

> بتحرر الإنسان.. لكن الإنسان كل تفاصيل حياته بتصير مربوطة بالمعتقل. أشيا بسيطة هي، بس خلص.. كل شي مربوط هناك، حتى لما أشرب مَيّ (ماء) بتذكر المعتقل.. ما فش مجال تتحرر مشاعره، يعني مش بظلّه سجين، لأ.. بس مشاعره بتظلها معلّقة."

بحسب عبد العظيم (2012)

> " المحصلة النهائية التي يحاول منظرو الجسد الخروج بها هي ان الجسد يمثل وثيقة تاريخية ثمينة غير قابلة للتزوير .. تُعدّ شاهدًا حيًا لكل ما تعرض له الإنسان".

علاقة النتائج بالعوامل الأربعة :

تُعرض في ما يلي علاقة نتائج البحث بالعوامل الأربعة التي حاول البحث فهم تأثيرها على تجارب الأسرى في الأسر:

1)العوامل الشخصية والدائرة الشخصية للأسيراة:

شخصية الفرد (صفات شخصية للفرد)، نوعية العائلة التي يأتي\ تأتي منها ودورها في الدعم او عدم توفيره وهل شكلت العائلة أصلًا ورقة ضغط.

لم يذكر الأسرى العامل الشخصي، بمفهوم الصفات والميّزات الشخصيّة للفرد– أي بمعزلٍ عن محيطه القريب والضيق أو حتّى بمعزل عن السياق الأوسع والمرتبط بالقضيّة العامّة– كعامل قد أثر على تعاملهمان خلال تجربتهمان في الأسر وإنّما قد غلب ربط التجربة الذاتية على طول المقابلات مع عدة عوامل منها: العائلة، العائلة الموسّعة، دائرة الأصدقاء والسياق العام.

تطرّق الأسرى لأنفسهم كأفراد لدى الحديث عن مسار تغيير شخصي أو صيرورة قد مرّوا بها من خلال هذه التجربة. فقد تُسهِم مراكمة التجارب المختلفة لدى الأسرى والمُستقاة من العوامل والمركبات المُختلفة، في صقل وبناء نهجهم في التعامل مع تجارب القمع المُختلفة، بحيث لا تكون الشخصيّة أمرٌ صلبٌ متحجرٌ بل تتشكّل وتُبنى وتتطوّر من خلال خوض ومراكمة التجارب المختلفة التي تجلب خبرات مختلفة.

يتحدث مصطفى حجازي عن أن "رضوخ الإنسان المقهور، ليست صفة ثابته ودائمة، إنما حالة قابلة للتحول تاريخياً". كما وتتحدّث ميعاري عن أن الصيرورة الثوريّة هي ليست مركبًا

في داخل هويّة الشخص الصامد، بل هي صيروية متواصلة من إعادة ترتيب الذات الثورية التي يمكن تحقيقها خلال الممارسة. إن كل ممارسة صمود في التحقيق هي تحقيق لقدرة الذات على أن تصبح ثورية، وذلك يعكس لحظات إدراك الكينونة الثورية (Meari, 2014). بحسب أقوال أسيرة (24، رام الله):

> هاي الخُطوة، إني ما شلحتش وأصرّيت (أنها أصرّت على رفض التفتيش العاري وقد استجابوا لها بعد أن استمرت بالرفض)، حستها قوّتني كتير.. إنه هاي المعركة أنا غلبتهم فيها..هلأ بعرف إنها ممكن تبيّن شي صغير بس أنا فعليًا حسيت إني انتصرت... في لحظات بتنحفر في الذاكرة، بتنتساش.. هي كل التجربة بتنتساش، بس هاي كانت أول لحظة مفصليّة بشوفها".

وقد أجمع الأسرى على أهمية عامل العائلة وحضوره في تجاربهم في الأسر، فقد رافقت فكرة العائلة كافة الأسرى وكانت في أحيانٍ مُعيّنة داعمًا لهم ولصمودهم، بينما كانت في أحيانٍ أخرى عاملًا قد زاد من قلقهم ومن وطأة التجربة عليهم. هذا ما قد ظهر جليًّا من خلال ما ورد في الفصل الثاني في ما يتعلق بقضية زيارة الأهل كممارسة تعذيبية، كما يراها الأسرى. هذا وقد أضاف غالبية الأسرى والأسيرات بأن هذا الموضوع قد رافقهم منذ لحظة الاعتقال، كقول أحدهم (27، البيرة):

> "أكثر موضوع ضغطني هو موضوع أهلي برا، هل أبوي عرف الخبر؟... كانت مشكلة إني أعلّق أبوي من تحت راسي لأنهم هددوني

باعتقال أبوي، وهدا كان أكثر شي ضاغطني. يعني كان عندي خوف.. كنت اتخيّل إنهم ماخدين كم جيب ورايحين يجيبوا أبوي... ما دعيتش أبدًا إنه الله يخلصني بس دعيت إنهم ما يضربوا أبوي أو أخوي".

كما ويظهر دور الأصدقاء والمعارف، كأمر يساعد الأسرى على الصمود في التجربة، وإن تذكّرهم كان يُساعد الأسرى في صياغة الصورة التي يريدون العودة بها أمامهم، وبالتالي يسعون لتحقيقها. كقول أسيرة (24، رام الله):

"كنت أظل أتذكر الصبايا والشباب اللي معي بالجامعة، كيف بدي أرجعلهم".

بينما يظهر في تجاربٍ أخرى كأمرٍ مُخيّب، وظهر ذلك تحديدًا في تجربة العزل الانفرادي لإحدى الأسيرات، كقول الأسيرة (36، الجليل):

"أنا موجودة بمحل اللي كتير خُذلت من عالم.. معارف وأصدقاء، اللي قرروا ما ييجوا يزوروني ولا حتّى يسألوا عنّي... وكان في حكي متل 'إنت مش شاعرة، مش من حقّك تكتبي شو كتبتِ... وفي حاجة تكتبي شو كتبتِ'.. بس صار هدا الإشي مُحفِّز لإلي، صرت أكتب بدقة أكتر، وصرت أكتب شعر موزون وشعر التفعيلة.."

وقد تحدّث جزء من الأسرى عن أن وجودهمإن في عائلات معيّنة ساهم في تشكيل هويّتهمإن أو توجهاتهم وخياراتهم السياسية، وبرتبط هنا العامل الشخصي بعامل رمزية الأسر.

فبحسب أقوال أسير (الجليل، 21) إن انكشافه لواقع مُعيّن في البيئة والعائلة كان مركبًا أساسيًا في بناء أفكاره ومن هو اليوم:

"في حدا عنا بالعيلة استشهد بعد ما طلع من السجن، هو كان أسير كمان. وأنا ربيت وأنا أروح أتابع محاكم مع شباب من البلد...".

- عن الارتباط بين التركيبة الشخصية والعائلية للأسيراة وبين رمزيّة الأسر: إن الرمزية – بحسب آرون بيك (2000) هي

"نظرة الإنسان عن الأحداث" وليس الأحداث نفسها. وبحسب سيرولنيك[21]، تعود أصول كلمة "resilience" إلى علم الفيزياء حيث تعني "المرونة أو الرجوعية" أي قدرة المواد على مقاومة الكَسر، ويُقصد به المقدار أو المجال الذي يمكن للمادة أو الجسم التحرك خلاله من دون أن يُحدث هذا كسرًا لها. أمّا في سياق علم النفس فهي تعني القدرة على الاستمرار في التحمّل للحفاظ على الذات وحتّى لا يحدث للفرد خطبٌ أو ضرر حادٌّ لا يمكن ردّه، أي حتى "لا ينكسر".

وتحدّث سيرولنيك بحماسة عن الجَلَد كأمرٍ "مُقاوم الموت"، هذا الذي يسمح بعدم الاستسلام أمام أوضاع يبدو أن التغلب عليها صعب بشكل خاص. حيث اعتبر أن هناك ثلاثة مستويات للعوامل الحمائية على المحك في موضوع الجَلَد، والتي أسماها "موجّهات الجلد"

[21] * طبيب نفسي، مدير الدراسات النفسية في جامعة طولون، يدرس حالة تسمح بفهم أصل وتاريخ مفهوم الجلد وعوامل الجلد (التي يسميها "موجهات" الجلد)

وهي: الموارد الذاتية للفرد، الموارد التي تقدمها الأسرة والموارد التي تقدمها المجموعة أو المجتمع مع الرجوع إلى التاريخ والرواية المشتركة وما تحمله من رمزية.

فبحسب أقوال أسير (30، مدينة القدس) عاش في عائلة من المناضلين وقد تعرّض غالبية أفرادها لتجربة الأسر:

"أنا من الأول كنت مش حاكي (يقصد أن يقوم بالإعتراف في التحقيق) يعني كنت بعرف إنه بنفعش أحكي، فش مجال. وأنا طالع من غرفة المحكمة بعد ما طلبوا تمديد (يقصد جهاز المخابرات لاستكمال التحقيق معه)، لقيت أمي بتستنّاني في الممر متخبية ورا الدرج بتأشرلي (تؤشّر) على رقبتها وتمها (فمها) بتحكيلي: إذا بتحكي بدبحك".

قال متحدّثًا عن حِرص والدته ودور عائلته في أن يصمد في التحقيق، بحيث لم يكُن عدم الصمود خيارًا مُتاحًا أمامه، بحكم تركيبة هذه العائلة ورمزية الاعتقال والأسر بالنسبة لها.

كما وقد عبّر الأسرى والأسيرات عن أن فكرة انكشاف أهلهم لماهيّة التحقيق وانخراطهم في دوائر نضالية معيّنة، قد ساعدهم للاطمئنان عن أهلهم، وبأنه لا داعٍ للقلق عليهم أثناء التحقيق، فهذه التجربة مألوفةً لهم، وهم ليسوا خائفين عليهم أو مُنهارين كما يحاول المحققين إقناعهم والضغط عليهم خلال التحقيق.

ويظهر ذلك في حديث أسيرة (24، رام الله) عن دور أهلها في التأثير على نظرتها وتعاملها مع الاعتقال:

"إنه أهلي كانوا موجودين ضمن هاي الدوائر النضالية كتير ساعدني، إنه أعطاني دفعة، في كيف يكون تعاملي ونظرتي للأمور جوا.. فما خفت كتير عليهم حسيتهم فاهمين علي، بس خفت أكثر ع اختي.." واستكملت مُتطرقةً للصيرورة أو التحوّل الذي قد يحل بالعائلة جراء حدث الاعتقال: "كل الوقت اختي كانت ضد نشاطي السياسي في الجامعة، بس هي الوحيدة اللي تصرفت بقوة، هي الوحيدة اللي قاتلت الجيش مثلًا لما أجوا ع البيت.."

تؤكّد على هذه الصيرورة في داخل العائلة تبعًا لما يتطلّبه الحدث، أيضًا أسيرة (36، الجليل)، بقولها:

"أنا مُسيّسة من زمان بس أهلي ما كانوش.. بعد الاعتقال صاروا بس يهمهن السياسة. أبوي من وقت الاعتقال وهو بس مشغول ومتابع بالأمور السياسية، وكلهن يعني.. بس أبوي أكتر. على الأقل إلا ما يطلع واحد من العيلة غير الأسير.. بعد اعتقالي صار كل منبر سياسي يروح عليه يمكن لأنه صار يحس نوع من المسؤولية، وصار بمحل أجتماعي إنه بنته أسيرة.. القمع الإسرائيلي شكّل ثقافة سياسية عند عيلتي. صاروا أهلي يشوفوا كيف إلي مكانة معيّنة في المجتمع. الناس

بيجوا يزوروني.. زيارة الناس أهم إشي، أنا انسانة اجتماعية، لما بديت أستقبل ناس بديت أحس إني عايشة.. يعني مش بيقولوا حتّى الجنة من غير ناس ما بتنداس".

وقد يظهر من أقوال هذه الأسيرة ربطًا بين عدّة عوامل؛ فهي بمقولتها هذه تعتبر فعل الاعتقال ذاته، كفعل قمعي، هو نقطة تحوّل في المواقف السياسية للعائلة وكعامل لتشكيل ثقافة ذات ووعي لقضايا سياسية كقضية الاعتقال. كما وأن هذه التجربة تفيد أن رمزية الاعتقال لدى عائلتها قد أستمدت أيضًا من النظرة المجتمعية للاعتقال ومن رمزية الإعتقال والأسر في المجتمع.

ذلك قد يوضح تغذية العاملان الشخصي والرمزي أحدهما للآخر، كما وتغذية الدوائر الاجتماعية المختلفة للفرد (العائلة، الأصدقاء، القرية، والمجتمع) أحداها للأخرى وللأخريات.

2) عامل رمزية الأسر:

أي ماذا رمزت أو عنت للفرد الأسير تجربة الأسر، خلال لحظات أسره؟ وكيف انعكس وينعكس مفهوم هذه الرمزية في تعامل الأسيراة مع تجربتهاا في الأسر؟

قد ورد عامل الرمزية بشكل واضح في سرد الأسرى والأسيرات لتجاربهم، أو في أقوالهم كإجابة عن السؤالين: "كيف تعاملت مع ما حدث؟ (ويُقصد هنا تعامله مع ممارسة عيّنية من قبل إدارة مصلحة السجون أو جهاز المخابرات، يكون هواهي قد بادر بسردها) وما الذي جعلك تتحمّل هذا؟"

وقد برز ارتباط هذه الرمزية التي في غالب الأحيان استخدمها الأسرى وعوّلوا عليها بشكل غير مُدرك، بعوامل أخرى، أي كونها مُستمَدّة من عوامل أخرى، كالمجتمع والعائلة والتنظيم والتي تتداول جميعها أنماط تعامل مُعيّنة وتُراكِم أفكار معيّنة حول موضوعة الأسر، مما يعطيها الرمزية التي استند إليها الأسرى في ثباتهم في التجربة أو اختيار سُبل تعاملهم معها. ويتضح بهذا ارتباط عامل الرمزية بالعوامل الثلاث الأخرى، التي يسعى هذا البحث لفهم دورها في تجربة الأسر: الدائرة الشخصية للأسير والتنظيم والنوع الاجتماعي.

هنالك علاقة او ارتباط بين التعامل مع الممارسات العينية وبين كيفيّة نظر الأسيراة إلى تجربة الأسر أصلًا وماذا ترمز له. قد ينظر أشخاص مختلفون لنفس الأمر بطرق مختلفة ويعطونه تسميات مختلفة، ذلك بحكم السياق والعوامل المتراكمة التي يستقون منها هذه الرمزية. يُشير بيير بورديو (1977) إلى وجود 3 أنواع من المواجهات: مواجهات واقعية (كالاقتتال أو الضرب)، ومواجهات مسلحة، ومواجهات رمزية (صراعات فكرية). وإن تأثير السلطة الرمزية بحسب بيير بورديو يكون أعمق وأخطر، لسبب بسيط، يتمثل في كونه يستهدف أساسا البنية النفسية والذهنية للمتلقين لها، واستهداف وعيهم، وبالتالي فهي – أي السلطة الرمزية – تمارس فعلها العميق، وتخطط من أجل فرض وتحقيق الأهداف المرسومة، وإنتاج الأدوات اللازمة لخلق ولتثبيت واقع لوضع إنساني مرغوب فيه من قبلها ومخطط له.

ويمكن قراءة ذلك على الوجهين، أو بالاتجاهين، ففي حين تمارس السُّلطة الحاكمة –أو إدارة مصلحة السجون وجهاز المخابرات في حالة الأسر– سلطةَ الرمز هذه الأعمال بطريقة

منظمة وبنائية، وتحت غطاء الخفاء والأنظمة والقانون والخطابات الشائعة بين الناس، تُساعد الرمزيات المُضادة التي يصيغها الشعب المُستعمَر وتحديدًا الأسرى منهم، على إعطاء معانٍ ورمزيات مغايرة للمواجهة تساعدهم في صدّ هذا الاستهداف "للبنية الذهنية والنفسية للمتلقين" ولتحصينهم وتحقيق هدفهم" أو لتحقيق صمودهم في هذه التجربة. علمًا بأنه في تجربة الأسر، ترجح كفة المستعمر في امتلاك القدرة على خوض كل واحدة من أنواع المواجهات التي ذكرها بورديو، وأيضًا على بناء مواجهة تدمج بين ثلاثتها معًا: المواجهة الواقعيّة (كالضرب الجسدي والاعتراك)، والمواجهة المُسلّحة (لامتلاكه السلاح الوفير والمتقدّم)، والمواجهة الرمزية (بما أسماه الأسرى ممارسات مُذِلّة ومُسيطرة على واقعهم).

في حين يمتلك الأسرى في هذا المضمار القدرة على المواجهة الرمزية كآلية أساس، أو كآلية وحيدة إن صحَّ القول، في هذا النزال. وربّما ليس صدفة بأن موضوعة إعطاء رمزية لفعل الأسر وللصمود أمامه قد وردت في كافة المقابلات مع الأسرى، كأحد المقوّمات للثبات أمام هذه التجربة:

فتظهر هذه المعركة والمواجهة الرمزية بحسب بورديو جليًا، في ما جاء في نَصّ[22] للأسير بلال عودة، واصفًا حوارًا بينه وبين الأرض في ساحة السجن، حيث تم سحله ورفاقه في الأسر:

[22] راجعوا الملحق: المعطى 4

"فقلت للأرض: 'هذا العدو الأرعن المتغطرس يرى بي هدفًا سهلًا، وأنا أسيرٌ أعزل، ويفعل ما يفعل...'، فقاطعتني الأرض وقالت: 'مهلًا مهلًا، انظر كيف يتحركون بجنون، إنهم في حاله هستيرية، انهم مرضى، فالاعتداء عليك وعلى رفاقك تعبير مرضي عن الخوف، فمهما زادت كمية العنف التي يمارسها السجان عليك، ما تُعبّر هذه إلا عن ضعفهِ وخوفهِ. أنت المقيدُ المُلقى على الأرض لا تُشكل أيَّ خطرٍ يستدعي الاعتداء عليك، ومع ذلك يعتدون. فالاعتداء تعبيرٌ عن خوف صاحب القوة المادية، وأنتَ المُنتصرُ بقوتِّك المعنويّة.' وأضافت الارض: 'أنظر إلى نفسك وإلى قوتك وإلى رباطةِ جأشك وأنت لا تكترث بهم'. وصرخت الارضُ مجددًا وقالت: 'ابتسم، ابتسم!'. وصدقًا وجدتُ نفسي أبتسمُ وشعرت بنفسي وبروحي الشامخة، ولم أعد أشعر بآلام الجسد. فعلّقت الأرضُ قائلةً: 'نعم نحن نبتسم، وها هي دماؤك تداعب ثنايا الارض– ثناياَ– لتخلق الحياة من جديد على هذه البقعة'."

وبحسب تعبير أسير (39، مدينة القدس)، واصفًا أصعب لحظات وجوده في سجون السلطة الفلسطينية، أي حين كان مأسورًا لدى أبناء شعبه، أي مَن توقّع منهم الدعم وتشكيل الحاضنة الشعبية له:

"هاي أصعب اللحظات في كل تجربة الأسر؛ واحد: إنت مش مقتنعة تمامًا إنها تجربة أسر. وتاني إشي: في إشي بيلخم هناك، انت قاعدة

بين ناسك وهم مش بعاد عنّك بالحالة النضاليّة، يعني كان هناك ناس سجانين يضربوا أطفال... بعد 3 أيام تصاوب واحد منهم بمواجهات مع الاحتلال بإصابة خطرة، يعني كان موجود بنفس الظرف اللي عشانُه حبسونا. هذا الإشي كان صعب أصلًا، مش قادرة تطّلعي ع المنظومة كعدو، مش قادرة ترفضيهم تمامًا وتقولي هدول جواسيس، بنفس الوقت مش قادرة تستوعبي إنك عندهم."

ويكمن تفسير صعوبة هذا الموقع في ما جاء بتعريف نعومي كلاين (Naomi klein, 2007) للصدمة:

"الصدمة هي ليست حدث يحزننا فحسب لكن هي أمر يحدث لنا عندما نفقد تسلسل الأحداث نفقد روايتنا، وتاريخنا، وعندما نُصبح تائهين (بدون وُجهة). إن ما يُبقينا في حالة انتباه ووعي وخارج الصدمة هو تاريخنا وروايتنا."

وأما عما قد ساعده للثبات بالرغم من الوضع السياسي الصعب أو "المُربِك" كما أسماه إثر انتقاله من سجون السلطة إلى سجون الاستعمار:

"قضية أسري أنا مش ضدي أنا كفرد... أنا ابن هدا الشعب"، وأضاف "بعدها (لا زالت) مرتبطة بقضية ووطن" وأن صمود الأسير أمام تجربة الأسر والحفاظ على "نَفَسه الطويل في النضال... هالشي مش متعلق

بوضع سياسي محبط" أو "ماكل هوا" (كما تمت تسميته من قبله كما ومن قِبل بعض الأسرى في نفس السياق).

ويرتبط هذا ارتباطًا وثيقًا بما تركه الأسير السابق في سجون السلطة الفلسطينية، والمطارد من قبل قوّات الاستعمار، الشهيد باسل الأعرج ضمن كتاباته حين كان مُطاردًا:

"..القرارات الصعبة تحتاج يا عزيزي حزم وجزم، لكن بإمكاني أن أدلّك على شيء يخفف عندك بعضًا من ألمك، الأمر فيه ألم بكل تأكيد، حاول أن تتذكّر أن أزمتك الوجودية فعلًا ترتبط بقضيّة سامية أكبر من أي صراع آخر، دع هذا الأمر في رأسك سيساعدك على تخطيه، دع فلسطين أمام عيونك".

فيرتفع ظهور هذا الاستناد الواضح إلى تحويل المواجهة إلى رمزية وربطها بشكل مباشر بالأمور الساميّة كالوطن والقضية، حين غاب إسناد أبناء الشعب المُستعمَر للأسرى أي إسناد أبناء شعب الأسرى لهم– السلطة الفلسطينية في هذه الحالة– بل كانوا هم من أسرهم. وقد أعطى أسير آخر للسجن رمزية ساحة نضال ومضمار لنزال آخر وأن الأسير مُناضل أيضًا في هذا المكان (27، رام الله):

"دورك في النضال كأسير ما انتهى، مهم نكمل نضال من هذا المكان."

وقد عبّر أسير آخر عن أكثر ما ساعده على الثبات في هذه التجربة " ما بينفع تسمح لهذا المكان يخليك تتحول لانسان مهزوم، لازم تحوّله لعرين أسد".

كما أسلفنا فإن بورديو يرى أن المواجهة الرمزية مرتبطة باستهداف وعي الأشخاص. وقد عرّف جون سكوت الوعي على أنه:

"استيعاب أو الانتباه إلى الظواهر المتصورة أو التى يتم تجربتها، وإن ممارسة الانتباه والتفكير والحكم تسمح بدرجة من السيطرة الواعية على الغرائز الموروثة من خلال التقييم العملي للوسائل وتأجيل الإشباع. إنها القدرة على الوعى، التى تسمح للبشر تدريجياً بالتأقلم مع الواقع الخارجى والتكيف معه باعتباره وسيلة لتحقيق أهدافهم" (Scott, 2011).

إن تقديم رمزيّة النضال وارتباطه بمعنى الذات وتحقيق كرامتها على الاحتياجات الجسدية وتأجيل هذه الاحتياجات، يظهر جليًا في أقوال الأسير السابق لؤي عودة في منشور له حول موضوع الإضراب عن الطعام الذي يخوضه الأسرى:

"... وما يميّز اليوم الأول هو الإجراءات التي تتخذها إدارة السجن، فهي تقوم بمصادرة مقتنيات الأسرى لتبقي الحد الأدنى من الملابس فقط، وإخراج محتويات الغرف يكون بصورة همجية واستفزازية تتلف الكثير من مقتنيات الأسرى التي جمعوها عبر سنين الأسر وهي ذات قيمة كبيرة لأنها تسهّل حياتهم اليومية، إضافة إلى حملات نقل الأسرى بين الغرف والسجون ولا يعرف أيّ منهم أين سيكون آخر هذا اليوم ليفقد رفاقه والمكان.. تبدأ رحلة الصمود والإرادة ليتغلب أولًا على نفسه ويتحدّى

رغباته واحتياجات جسمه للفوز بكرامته وللوصول إلى نصر يجلب له العيش بكرامة."

عاملٌ آخرُ يظهر في ذات السياق هو ربط ألم الفرد في المجموعة– أي الأسير في القسم– بألم بقيّة أعضاء المجموعة حتّى لو لم يتعرّض له الفرد بشكلٍ مباشر، يظهر ذلك في تعبيرٍ ورد في حديث الغالبية العظمى من الأسرى المُقابَلين:

فبحسب ما جاء في أقوال أسيرة (الجليل،36):

"وأنا عارفة فش أسير ما بتعذّب بالسجن.. الحنين لأشخاص بدك تشوفيهن هو عذاب، تشوف ناس حواليك متعذبين هو عذاب.. العذاب النفسي هو أصعب بكتير من العذاب الجسدي. أنا ما تعذّبت جسديًا".

ويتفق هذا مع ما جاء في نَصّ مكتوبٍ للأسير بلال عودة[23]:

"إنه ألمٌ مركب ومعقد جدًا لدرجةٍ تُصعِّبُ شرحه والحديث عنه. كنت أرى كيف سيصبح وضعي بعد دقائقٍ، كيف سيكون المنظر من بعيد، في كل مرةٍ يضرب فيها مناضلٍ يكون ضربًا لي، بالتالي كنت أتعرض للاعتداء عشرات المرات قبل أن أتعرض فعليًا له. كنت أتألم في كلِّ لحظةٍ مئات المرات على ألم أحبائي، قبل أن أتألم على نفسي، نعم إنه الألم الذي لا يشفيه مَرهَم العالم كلّه."

[23] راجعوا المحلق: المعطى 4

وبحسب أقوال أسيرة (24، رام الله):

"أكثر إشي قهرني لما طلعت، إنه كيف هدول الناس ظلّوا جُوّا.. كيف أنا طلعت وهم لسّه عايشين هناك."

أمّا بحسب تعبير أسير (27، البيرة) في وصفه عن شعوره لدى إطلاق سراحه:

"بتحِسّي صعوبة، مشكلة بالنسبة إلنا، الواحد متشوّق إنه يطلع بس من أول يوم برّا بتحس بصعوبة إنه بعد في ناس جُوّا.. وبتمنّى تيجي مناسبة ويطلعوا."

عن التعذيب بمفهومه الجماعي تحدّث عدد من الأسرى، وما قد تجمعه أقوال هؤلاء الأسرى، هو سُطوة العذاب الجماعي وقوّته في أذهان الأسرى، كعذاب نفسي كان أم جسديّ. ويضعنا هذا أمام عاملين متعلقين برمزية المجموعة وبرمزية تجربة الأسر التي يستمدها الأسير من المجموعة:

الأول هو اعتبار الأسرى للتجارب الجسدية الصعبة التي تتلقاها مجموعة الأسرى كجَمع، عن تجارب مُتحوّلة أو مؤدّية إلى "تعذيبٍ نفسيّ". فإن عامل رؤية الزملاء في الأسر يتعذّبون كان في مقدمة إعتبارات العذاب بالنسبة لهذين الأسير والأسيرة.

والأمر الآخر؛ هو بأن ذات التجارب الجماعيّة الصعبة لكن التي يبادر الأسرى لها وتكون على هيئة معركة هم كجَمع فيها أصحاب إرادة ومقولة، تُعتبر بالنسبة لهم عامل أساس لاستمداد القُوّة: كفرض مواجهة مع السجان، أو كخوض إضرابٍ عن الطعام على سبيل

المثال.

فبحسب أسير (36، نابلس):

"يوم قبل الإضراب بيكون شي كثير قوي.. بدرجات، عندك تسليم كتاب لمصلحة السجون بالمطالب (يقصد تسليم رسالة بشروط ومطالب الأسرى لإدارة مصلحة السجون قُبيل خوضهم الإضراب عن الطعام)، وبليلة الإضراب تكون سهرة فرح وضحك... كلنا عارفين إننا واجبنا نقوي بعض، بتكون في هيك روح تحدٍّ عالية.."

وبحسب أسير آخر (29، من إحدى قرى رام الله)، والذي لم تساعده حالته الصحية على خوض الإضراب ومع ذلك أصرّ على خوضه مع بقية رفاقه وزملائه من الأسرى المُضربين:

"يمكن أحلى إشي بحياتي صار الإضراب.. إني أصريت أشارك، وصمدت، مع إنه صحتي ما كانت بتسمح... وكان محاولات من إدارة مصلحة السجون والأطباء يقنعوني إني ما أضرب وأكسر الإضراب... شفت حالي كيف بقدر أتحدى وما كان بيزبط أنكسر.. عشان كل واحد بيفك الإضراب بيضعف الأسرى المضربين".

3) **<u>النوع الاجتماعي- الجندر:</u>**

حُكمًا لمشاركة رجال ونساء وشُبّانٍ وشابات وأطفالٍ وطِفلاتٍ- أي ذكور وإناث- من أبناء الشعب الفلسطيني في الفعل المُقاوم، ولوقوع فِعل الأسر وممارسات إدارة مصلحة السجون

خلاله على أسرى وأسيرات فلسطينيين\ات، وتبعًا لكون عيّنة أو مجتمع البحث هي من الأسرى والأسيرات أيضًا، وجدنا حاجةً للنظر في دور هذا العامل- أي الفرق في النوع الاجتماعي في مجتمع الأسرى، ومحاولة فهم أثر هذا العامل، إن وُجِد، على تجارب الأسرى والأسيرات من وجهة نظرهم\ن.

حاول هذا البند فحص إن كان لعامل النوع الإجتماعي للأسير اعتبارًا في ممارسات الاستعمار وإدارة مصلحة السجون تجاهه، وهل له دور في كيفية تعامل الأسرى والأسيرات مع الممارسات العينية أو بتعاملهم مع تجاربتهم في الأسر.

بحسب الفروق التي ظهرت بين أقوال الأسرى والأسيرات، في وصفهم ممارسات الاستعمار تجاههم\ن، يبرُز بأن الاستعمار ممثلًا بإدارة مصلحة السجون ومحققي المخابرات، يتعامل مع الأسرى والأسيرات بحسب الأفكار النمطية الرائجة حول هذين الدورين في التيار السائد عالميًا[24]، والمفترض من جهته (أي الاستعمار)، وتبعًا لنظرته الاستشراقيّة، بأنها سائدة أيضًا في المجتمع الفلسطيني.

كقول أسيرة (24، رام الله):

"كل قصة إنه عندي صحاب شباب، كل شوي يقولوا انت عندك صحاب شباب، وبتروحي وبتيجي معهم... فاكتشفت إنهم ما بيكونوا بجد عارفين

[24] هذه الأفكار الرائجة التي سعت المنظومة الرأسمالية لتكريسها من خلال صُنع قوالب معيّنة للأدوار الاجتماعية التي "يتوجّب" على كلٍ من الأجناس البشرية لعبها، ولكيفية انعكاس هذه الأدوار في المجتمع وفي الحياة اليومية، كنوعية وأماكن العمل، الدور في العائلة، الشكل الخارجي، القدرات العقلية.. وغيرها من مجالات. للتوسع راجعوا: (Rose,1986)، (بدارنة، 2015).

شي عن بيئة الشخص أو بيته.. بالآخر عصبت قلتلهم إذا انتو متخلفين هاي مشكلتكم إحنا عادي هيك وأهلي بيعرفوا صحابي.."

يتم التعامل مع الأسرى الفلسطينيين الذكور، على اعتبار أن أهم الأمور التي يمكنهم الضغط عليهم وإذلالهم من خلالها هي "رجولتهم"، أي يفترض الاستعمار أن أكثر ما قد يمس الأسرى الفلسطينيين هو كل ما يمِسّ بالصورة القويّة لهم "كرجال" وبما يخصّ جنسانيتهم وميولهم وأدائهم الجنسيين. وأما الأسيرات الفلسطينيات فيتم التعامل معهن، على اعتبار أن أكثر ما قد يضايقهن هو منعهن من استكمال الحياة "الهادئة" وتأخيرهن عن "حلم الزواج وبناء أسرة"، وأن ما قد يمسهّن هو تنفيذ ممارسات قد تمسّ بسُمعتهنّ أو تجعلهن يشككن بقدرتهنّ أن يكُنّ "كبقية نساء المجتمع".

فبحسب ما ورد في أقوال أسير، قد ذكر استخدام مسألة تخويفه وتهديده بالتعرّض له جنسيًا، من قِبَل سُجناء جنائيين:

"قالّي رح تروح تنام بغرفة كلهن بحبوك، لإنّك صغنون.. وقتها حكالي وكان قصده مغتصبين روس، وقالي 'إنت طبعًا مش رح تنام'.."

أما بحسب أقوال أسيرة (18، القدس):

"أسوأ إشي صارلي هو التفتيش العاري.." واستكملت: "إنت عارفة شو؟ 15 جندي معي في الغرفة؟؟ شو يعني يقولولي أشلح، وهم عارفين إننا متدينين، قلتلهم ما بشلح، لما قربوا يشلحوني غصب عني، وافقت أشلح أنا المهم ما يقربوا عليي..." وتابعت بعدها: "بتقهر هاي القصة.. وكل

محكمة على الرايح والراجع تفتيش عارٍ، بس أوقات المحاكم يكونوا جنود 5 تقريبًا، هيك شي مش أكثر".

وبحسب ما ورد في حديث أسيرة (24، رام الله)، واصفةً المحاولات الدائمة لإشعارها بأنها بوجودها في السجن هي تتخلّى عن دورها كامرأة وتختلف عن بقيّة النساء في مجتمعها:

"كل الوقت يحكيلي فكري.. قديش في نسوان في رام الله، شو هلّأ بيعملوا؟ ليش ولا واحدة منهم هون؟ ليش تعملي بحالك هيك؟" واستكملت أنها تذكرت قولهم: "إمك بدها إياكِ معها في البيت".

وقد يظهر من هذه الممارسة محاولةً لإشعار الأسيرة بأنها ولكونها خاضت هذه المواجهة، فهي حتمًا تخرج عن دورها "كامرأة" وتختلف عن بقية النساء. إن محاولة "نزع دور المرأة" عن الأسيرة، قد يرتبط فعلًا بمحاولة الاستعمار بتهديد الأسيرة بالأفكار "الرائجة مجتمعيًا" بين صفوف شعبها بحسب نظرته، أو قد يرتبط بكون المؤسسة الاستعمارية تضطهد هي ذاتها المرأة لدرجةٍ لا تحتمل فيها أن ترى امرأة من قلب الشعب المُستعمَر، تُواجهُ وتتفوّق. فذلك ينسف الهرمية لمستويات القمع المُتوقّعة من قِبَله.

من جهة الممارسات، فلم يذكر الأسرى والأسيرات ممارسات مختلفة قد تمّ استخدامها تجاههم وتجاههن من قبل إدارة مصلحة السجون، وكان الاختلاف غالبًا في سُبل التحقيق، أي لدى جهاز المخابرات. وحتّى في هذه ممكن أن نرى لا تختلف الممارسات المتبعة في التحقيق بين الأسرى والأسيرات كثيرًا– فلدى الجنسين تترجم بمحاولات من الاستفزاز والابتزاز، لكنها تحمل معانٍ ورسائل مختلفة يرسلها الاستعمار، بحسب ما وصفه الأسرى والأسيرات.

فممارساتٌ كالتفتيش العاري، فقدان الحواس، إفقاد السيطرة من خلال ظروف لا معلومة، العزل الانفرادي.. وغيرها، تتشابه ممارستها بين الجنسين. في حين يلجأ التحقيق إلى التطرق إلى أمورٍ تمس الحياة الشخصية، أوالابتزاز والتهديد بها، لكن ذلك استنادًا إلى رسائل مختلفة. ففي حين عبّرت الأسيرات النساء أن هذه الرسائل قد وُجِّهت لإشعارهنّ أن وجودهنّ في الأسر وأن مشاركتهن في الفعل السياسي أو المقاوم الذي قدّمنه قد مسّت بصورتهن "كنساء" محافظات.

أما بخصوص آليات التعامل التي اتبعها الأسرى والأسيرات، فقد تشابهت آليات التعامل بين كليهما بشكل كبير. من اللجوء إلى رمزية الأسر وارتباطه بالوطن والقضية، ارتباط الرمزية في المجتمع والدائرة الضيقة، الحس النفسي المجتمعي كمسؤولية تقديم وبذل للمجموعة، الانتاجيّة والسيطرة على الوقت، الموسيقى الثورية.. وغيرها مما ورد في فصل أساليب التعامل.

وقد برز بشكل واضح عامل رمزية الأسر وارتباطه بالوطن والقضية لدى الأسيرات تحديدًا في حديث أسيرتين، عن تجربتهما في التعامل مع عامل الطبيعة هذه المرة– الدورة الشهرية– في ظِلّ قلّة موارد الراحة والمُسكّنات والنظافة في فترة الأسر وتحديدًا في فترة التحقيق. حيث لم ترد هذه المسألة تلقائيًا من قِبَل الأسيرات الشابّات، لكن الباحثة قد سألتهن عنها في نهاية المقابلات، ذلك لورودها بشكل تلقائي في تجربة إحدى الأسيرات القُدامى، حين تحدّثت عن الإهمال الطبي ولحق ذلك حديثها عن تعاملها مع الدورة الشهرية. وقد عبّرت عن أن خلال وجودها في الاعتقال لم تحتج لمهدئ للتعامل مع آلام الدورة، في حين كانت تحتاجها

بشدّة قبل ذلك، وقد أعزت ذلك لقرار داخليّ لم تُسيطر عليه لكنها رأت حاجةً لأن تكون قويّة:

"بتعرفيش كيف هيك، بس خلص كنت متعاهدة مع حالي إني ممنوع أنكسر بأي طريقة ولازم أبقى قويّة. فما حسيتش بإشي..".

وقد وافقتها بذلك أقوال أسيرة شابة تذكرت تجربتها مع هذا الموضوع:

"كان ضغطي من الدورة هو تاني أكبر ضغط عليّ (بعد تهديدها بأهلها)، كنت خايفة إنه شو بدي أعمل وكيف بدي أتحمم هون.. إنه بتعرفي هاي الفترة بتكون أكتر فترة بدك فيها دفى البيت، ونظافة وحمام زيادة... بس بيضل (يظل) بكل الموضوع اللي بقدر يخليكِ تستمري وما تتعبي هو إنك مقتنعة باللي بتعمليه... يعني بتعرفيش كيف بتمرق، اكتشفت إني كنت خايفة منها.. بس كانت أسهل من كيف تخيّلت".

4) التنظيم السياسي الذي عاشات الأسيراة فترة أسرها\ لديه:

لدى الحديث عن محور التنظيم، تبرُز أهمية عالية لمكانته ولدوره في تجربة الأسر بحسب تعبير الأسرى، ويأتي ذلك أساسًا من خلال ثلاثة محاور:

الأول هو الرمزية– أي الرمزية التي يُقدّمها التنظيم السياسي لتجربة الأسر؛ ما هو التعريف الذي يقدمه التنظيم لتجربة الأسر؟ كيف يراها؟ وما هو النهج السياسي للتنظيم من بعد أسر الأسيراة، هل تراجع أداؤه السياسي؟ وهل تغيرت رؤيته لقضيته التي قد يكون الأسير قد سُجن بسببها؟

والمحور الثاني هو النظام للحياة اليومية في الأسر، أي ما يسميه الأسرى "بالنظام\ البرنامج الداخلي" اليومي المُتبّع في القسم الذي كان يعيش فيه الأسير في فترة أسره؟ وما يفرضه هذا النظام من حياة اجتماعية يومية.

والمحور الثالث هو ارتفاع في الحِسّ النفسي المجتمعي المعتمد على عامليّ الدعم والتضحيّة في آنٍ. ويقصد الدعم الذي تقدّمه المجموعة في القسم للأسير، ومسؤولية الأسير تجاه المجموعة.

وقد ترتبط هذه العوامل بشكل وثيق من خلال ما قد تستطيع المجموعة تكريسه من رمزية. فإن العمل المقاوم الذي كان قد قدّمه الأسيراة السياسيّاة أساسًا، وهو مرتبط بكونه عمل سياسي، أي يخص الجَمع. وبالتالي، اللجوء إلى جعل الأسير يعتقد بأن الجَمع قد تخلّى عنه قد وُصف من قِبَل الأسرى بالأمر "الصعب".

تحدّث الأسير السابق والمُخرج السنيمائي رائد أنضوني، في أحد أفلامه الوثائقيّة[25]، واصفًا أقسى اللحظات في تجربته في الأسر حين كان يقوم المحقق بتذكيره مرارًا بأنه يدفع الثمن وحيدًا هنا، وأن قيادته آمنة خارج البلاد" بقوله: "قيادتك كلها برا البلد... فكّر بحالك!". وقد تكرر هذا الأسلوب من قبَل المحققين مع عدد من الأسرى الشباب، وقد كادت تتطابق أقواله مع أسير شاب (27، البيرة): "شوف قيادتك وين، كلهم ولادهم برا البلد.. اللي برا، واللي مصالحه شغالة في البلد وعمرانة برا... فكّر بحالك!"

وقد يأتي أسلوب "التذرير" هذا كما سمّاه أحد الأسرى، من خلال توجيه الأمر للأسيراة "فكّراي بحالك!"، في محاولة لكسر رمزية الأسر في ذهن الأسير، من خلال إشعاره بأنه فعليًا منفرد في المواجهة مع الاستعمار، وأن الجَمع الذي قدّم هذا الفعل لأجله، إن كان مجموعة أو تنظيمًا أو شعبًا، عمليًا قد اختفى.

[25] الفيلم الوثائقي "صداع- Fix me"، من إخراج وأداء الأسير السابق رائد أنضوني. من إنتاج "دار للإنتاج السينمائي" وبالشراكة مع مؤسسات إنتاج أخرى، وأنتج عام 2009.

ويرتبط هذا ارتباطًا وثيقًا باعتماد الاستعمار لفكرة تراجع الحاضنة الشعبية – أي تراجع مُركَّب الدعم في الحس النفسي المجتمعي– كآلية ضغط عليه.

إن تفضيل الأسرى بشكل قطعي العيش في الأقسام مقابل السجن بشكل منفرد –أي في "عزل إنفراديّ"– تضعنا أمام تساؤل مهم حول أهمية هذه الحياة الجماعية في السجن. إن أكثر اللحظات تشوقًا لدى الأسرى هي وصف التجارب الاجتماعية مع بقية الأسرى في القسم والتعقيب عليها بأنها لحظات "بتظل مع الأسير كما وصفها أسير (26، القدس):

"بديش أقول بتمرق لحظات بشتاق.. للسجن يعني لا، بس في أشيا فيه اللي كثير بشتاقلها، يعني كان في جو فكاهة وضحك للرفاق، يا اللّه يعني.. (ضحك)، يعني بيكون الظرف صح صعب وهيك بس الكل بيكون يمزح عشان نخفف عن بعض وما حد ينكّد".

أو كما تمّ وصفها في فيلم اصطياد الأشباح للأسير السابق والمخرج رائد أنضوني: "في الرفيق بيحوّل الزنزانة لإشي أهبل بالرغم من أنه مؤلم بجد.."

كما وتحدّث عن أهمية العيش ضمن إطار تنظيم (كحزب أو حركة) و "تنظيم" (تنظيم الوقت وتنظيم فترة الأسر) كعامل مساعد في تخطي الصِّعاب:

"فكرة التنظيم والتنظيم. التنظيم كإطار هو الإشي إنك مش موجودة في العزل، إنك موجودة ضمن الحياة الجماعية اللي بوفرلك إياها الفصيل، الظروف اللي تتعدي من خلالها كل المشاكل اللي ممكن تواجهك.. وفكرة التنظُّم وتنظيم الوقت، إنّك تصحى بدري– استيقاظ مبكّر يعني،

هدوء وقت القيلولة، التنظيمات الإسلامية عندها كل يوم جلسة صباحيّة ع ال9 الصبح، بتعلق بوقت العدد.. والبرنامج الإداري بيضمن جلسات سياسية وجلسات دينية وثقافية.. في كل النواحي.." وأضاف "في ضابط اسمه بيتون، نائب رئيس الشاباس، بيقول بس مع حماس بقدر أتفاهم.. لأنهم مرتبين"... "وشوفي تجربة الشعبية (يقصد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) برضه، الكل بيشهدلهم إنها تجربة بالفعل تُحترم، كيف مكتباتهم وكيف بعد في انضباط.."

إن فائدة هذه الحياة الاجتماعية، بحسب فلاسفة ومنظرين في علم النفس تُعزى: لكون هذه الحياة الاجتماعية تشبع الحاجة إلى الارتباط مع جماعة والثاني كون هذه الجماعة المرتبطة بتنظيم تقرر شكل الحياة اليومية للأسير في داخل الأسر والذي يرتبط بمدى إنتاجيّة الفرد، مما يزيد من دافعية الأسير للصمود والثبات في التجربة.

وقد اتفق في هذا الصدد الفيسلوف نيتشيه (نيتشيه، 1882) والأخصائي النفسي فيكتور فرانكل (فرانكل، 1982) على أن أساس الدافعية للاستمرار والمضيّ قِدمًا في ظِل الاحباطات والظروف الصعبة، أو "المعاناة" كما أسماها نيتشيه، هو تحقيق القيمة الذاتية ومعنى الذات .

وبحسب نظرية التحديد الذاتيّ التي بحثها ووضعها الباحثين ديسي ورايان (Deci & Ryan, 2002)، والتي قد بحثا من خلالها الدوافع والمحفزات التي تُحفّز الشخص على

المضي قدمًا في تحقيق ذاته وتقديم أفضل ما لديه، كانا قد كشفها في حينها عن وجود عوامل داخلية وأخرى خارجية .

وقد أفضت الدراسة إلى كون الدوافع الخارجية والتي تأتي على شكل جوائز مادية ومكافآت أو الهرب من نتائج سلبية وغيرها، هي أقل قدرة على تحفيز الأشخاص من الداخلية منها. كما وأن الدوافع الداخلية هي أكثر ما يحرّك الإنسان وإن أعلى مستويات الدافعية عند الأفراد تتحق حين يفعل الشخص شيئًا يحبه ويشغف بتحقيقه وتكن لديه الرغبة في تنفيذه.

وقد ذكر ديسي وراين (Deci & Ryan, 2002) أن هناك ثلاثة مكونات رئيسية في نظرية "التحديد الذاتي" يمكن التعامل معها على أنها تُمثّل احتياجات يجب توفيرها للشخص والتي ترفع من دوافعه الداخلية على المضيّ تحقيق ذاته. إن توفرت هذه المكونات، تزداد إمكانية الاعتماد على الدافع الداخلي للشخص، أما إن تأثرت واحدة منها، فتزيد صعوبة الاعتماد على الدافع الداخلي. وهذه العوامل هي:

أولًا– القدرة على الاختيار أي أن يملك الأشخاص السيطرة على خياراتهم وأن تكون لديهم القدرة على القرار والاختيار من بينها.

ثانيًا– الكفاءة؛ وقصدا بها المقدرة على التأثير والتغيير في الظروف وتحقيق ما يسعى الأشخاص إليه.

وثالثًا– الشعور بالارتباط ويُقصد بها وجود علاقات اجتماعية والانتماء إلى مجموعة، وقد أعزى الباحثان أهمية كبيرة لهذا العامل.

كما أنهما قد اختلفا مع ماسلو (Maslow, 1943) في تدريج هذه الاحتياجات فقد أكّدا على أن إشباعها شيء هام جدًا، بقدر أهمية إشباع احتياجات الطعام والشراب، لأن ذلك يساعد الإنسان على أن يعيش بصحة جيدة. في حين رتّب ماسلو في نظريته "تسلسل الاحتياجات الهرميّ"، حاجات الإنسان ووصف الدوافع التي تُحرّكه من الأكثر أهمية إلى الأدنى منها؛ وأتت على النحو التالي: الاحتياجات الفسيولوجية، وحاجات الأمان، والاحتياجات الاجتماعية، والحاجة للتقدير، والحاجة لتحقيق الذات. أي أن بحسبه فإن الطعام والشراب والأمان هي من الاحتياجات الاهم لدى الانسان ويلحقها بعد ذلك بدرجات الاحتياج للشعور بالارتباط والانتماء لمجموعة.

تحدّث نيتشيه (1882) عن خطورة الاستمرار في البحث الدائم عن الراحة أو "المتعة" بحسب تعبيره، ذلك من خلال رفض الكفاح والمعاناة "والبقاء مسجونين في غرف مغلقة" من دون كَدٍّ أو جهد ذلك لتجَنُّب الألم أو النتائج السلبية، وقد حذّر من الاستسلام لغريزة الهدم أو "غريزة الموت" التي تُبقى على وضع الركود والاحباط والاكتئاب. مُشيرًا بذلك إلى الضرر والقوة الهدامة التي قد يأتي بهما الركود وانعدام الانتاجية للنفس البشرية حين تعتقد بالسعي الدائم للراحة وعدم بذل مجهود.

وأضاف فرانكل (1982) في هذا الصدد، مؤكِّدًا على أهمية الفِعل والدافعية لإعطاء معنى للذات، بأن"

"الشيء الوحيد الذي لا تستطيع أخذه مني هو أختياري للطريقة التي أتجاوب بها مع ما تفعله بي. إن آخر ما يتبقى من حرية الإنسان هي مقدرته على اختيار موقفه من كل ظرف."

وربّما يُفسر هذا إلتزام الأسرى بنشاطات وببرنامج يومي وخوض الأسرى لنضالات داخل السجون في أصعب الظروف ومع أبسط الإمكانيات وأقل قدر من الخيارات وتحت القمع المباشر لقوات الاستعمار، وقد يبدو هذا كخلق خيارٍ حين تنعدم الخيارات في سبيل تحقيق الذات المرتبطة بالمجموعة، ذلك بحسب ما وَرَد في أقوال الأسير السابق مُهنّد أبو غوش في وصفه لعظمة فعل الإضراب عن الطعام:

".. لما يبطّل عند الأسرى أي وسيلة تانية لحتّى يرفضوا ويقولوا لأ، ويقرروا يرفضوا بجسمهن، بأمعائهن الخاوية.."

جاء ذلك في كلمة له في خيمة اعتصام لإسناد الأسرى المضربين عن الطعام في معركتهم نحو إسقاط الملفات السرية، والتي أقيمت في مدينة حيفا في العام 2014.

قد برزت **أربعة قضايا** ملموسة رئيسية متعلّقة بعامل التنظيم والتي لعبت دورًا هامًا في تجربتهم بالأسر:

أ) مسألة الرمزية التي يُكرّسها التنظيم من خلال الانتاجيّة: كما أفادت الأقوال السالف ذكرها للأسرى، فإن اللجوء إلى الاستعانة بالرمزية– "رمزية الأسر"– كعامل مُساعِد في المواجهة أو التعامل مع تجربة الأسر، كانت أمرًا هامًا تحديدًا عندما كان توجه التنظيم الذي يعيشون معه يتفق ورمزيّة الأسر، ويكرّس هذه الرمزية من خلال عكسها في البرنامج اليومي للأسير في الأسر:

فبحسب قول أحد الأسرى (27، البيرة):

> "تخيّلي ما يكون في برنامج تنظيمي والنهار فاضي، بنصير ساعتها مثلنا مثل المدنيين. بُشعر الأسير إنه يومه بقدر يستفيد منه بعد، إنه سجنوا جسمك بس عقلك لسه شغّال... الأسرى بيقولوا أنه إحنا لازم نثبت إنه احنا منظمين، إنه احنا بنكمل عيشتنا زي كيف كنا عايشين برا... بيجوا الصبح لفحص الشبابيك، لازم نكون كلنا جاهزين عشان يشوفونا لابسين منظفين مرتبين، يشوفونا جاهزين عارفين نرتب حالنا".

أي بحسبه فإن رمزية الأسر سياسي مرتبط بمدى ثقافة وإنتاجيّة الأسرى، وإلّا قد فقدت هذه "المكانة".

إن عامل التنظيم بكل ما يتضمنه من تنظيمٍ للوقت وللمعرفة وللسيطرة عليهما، يفتح أمام الأسير مجالات أكبر للاختيار في أساليب المواجهة أو من بين الظروف الراهنة، وإن هذا الرابط الجماعي ووحدة المصير تزيد من الدافعية والقدرة على الاستمرارية والمضيّ قِدمًا. ذلك بحسب ديسي ورايان في نظريتهما "تحديد الذات" (Deci & Ryan, 2002). ما تحققه

الحالة التنظيمية في الأقسام إن تحقق تكريسها لرمزية جمعية لتجربة الأسر، هي أنها تجعل تحقيق الذات متعلّقًا بارتباطها بالمجموعة أو أن تحقيق الذات هذا هو نفسه تحقيق إنتصار هذه المجموعة العينيّة.

يأتي ذلك كقول أسير (27، رام الله):

"الاحتلال هدفه من السجن إنه يطلّعك طافٍ، بعد ما كنت شعلة... هدفه تحس إنك تحت سيطرته لحظة بلحظة، ببقى بإيدينا طريقة المجابهة، وهاي بتتعلق بالتنظيم برأيي..".

ويتوافق معه قول أسير آخر، (30، القدس):

"بتعلق كيف يشتغل (يقصد التنظيم) بهاي الفترة إنه يبني ويخليها فترة ممارسة قناعات.. أنا بآمن بمقولة إنه الحرية الحقيقية هي أنك تمارس قناعاتك".

تحدّث بورتون (2012) عن فك التشفير في الوعي الحالي كخطوة أولى في عملية التحرر لدى الشعوب المقهورة، وتأتي بعد ذلك مرحلة البناء لوعيٍ جديد. أي فك الشيفرة الحالية في أذهان أبناء الشعوب المستعمَرة التي تتمحور حول الدونيّة والهزيمة والّلا–حول، تلك الشيفرة التي عَمِل المُستعمِر طويلًا على تذويتها لدى المُستعمَر وتغييب عزيمته، واستبدالها بشيفرات جديدة أي رمزيات ومعانٍ ومعارف جديدة تروي رواية المُستعمَر وتساعده في النهوض (Burton, 2012).

وقد أضاف مُشيرًا إلى اختلاف تجربته في العيش في ظل حياة تنظيمية وبين تجربته في ظل انعدامها:

"السجنة التانية انسجنت في سجن مختلط، حكيت لحد يطلبوني من سجن تاني عشان الجو هون صعب وفش جو دراسة. طلبت نقل لحتى أقدر أتثقف وأقرأ". واستكمل: "يعني كان في شاب كنت أول مرة بشوفه فسألت حد من الشباب أنو هاد جديد؟ أحكولي لا صارلّه هون سنة بس بصحى ع ال4 بعد العصر.. طب هدا شو استفاد من حبسته؟".

فنرى هنا في أقوال هذا الأسير ربطًا بين رمزية الأسر كفرصة "للتثقيف والدراسة" كما أسماها، والروح التعاونية للفائدة الجمعية واقتران هذه الرمزية بما القدر؟؟ يُتيح التنظيم تحقيقه منها. فيضع الضوء حول عامل تدخل التنظيم في تغيير أو توضيح وتكريس هذه الرمزية في السجن أو إعطاء سُبل فهم لهذه التجربة، وإن كانت هناك عوامل تُعزز رمزية الصمود وعدم الانهيار، في مقابل ممارسات السجان التي تسعى لكسر هذه الرمزية.

وأضاف في ذات السياق:

"فكرة إنك قاعدة لفترة طويلة النظام الجماعي هو طريقة كتير حلوة ومميّزة وجماعية، إذا كل واحد بده يعمل شو بده بتقللي من الروح الجماعية بتخلي الواحد بعد فترة ينهار. عشان هيك عند بعض الفصائل الواحد بيسبّ الساعة وبيندم".

وأضاف مُعبّرًا عن أهمية عامل استمداد الراحة في وقت الأسر من خلال الاندماج في القسم: "متخيلة إنت على نفسية الأسير قديش برتاح لما يندمج في القسم ويقرأ ويكمل تعليمه؟"

ب) العيش مع تنظيم كرافعة للحس النفسي المجتمعي:

تُعزز الحياة في أقسام والعيش مع تنظيم الحس النفسي المجتمعي لدى الأسرى ذلك من خلال مركبيّن: الأول– هو الدعم الذي تُقدّمه المجموعة للفرد، من حياة اجتماعيّة ودعم في المواجهة مع السجّان ودعم في جعل التجربة أكثر انتاجيّة. والمركَّب الثاني– هو كون المجموعة مُتلقّية للمُساهمة التي قد يقدّمها الأسير للمجموعة والتي تنبع من مسؤوليته تجاهها.

بحسب أقوال أسير (27، إحدى قرى رام الله)، كانت له تجربتي أسر عاش في إحداهما في أقسام تابعة لحركة حماس في وصفه لفائدة العيش مع تنظيم يرى في التثقيف أمرًا ضروريًا ومُلزمًا لمن يعيشون في القسم، وكيف لعب هذا دورًا في بناء روح جماعيّة: "الاستفادة جماعية، أنا بدي أفيد الجميع وطبعًا كل فرد بستفيد. أنا كمان كفرد لما أشوف في حد عم بيحط كل وقته عشان أنا أستفيد بصير أنا كمان لما أتحسن بموضوع، أنا أساعد غيري يتعلمه.."

ج) السيطرة على الظرف وارتباطها بالعلم المسبق لدحض عامل الصدمة من "اللامعلوم":

وقد تحدّث الأسرى في هذا الصدد عن أن تجربتهم في الأسر كانت أقل قسوة في اللحظات

أو المواقف التي كانوا يعلمون مُسبقًا ماهيّتها أو الهدف منها. ففي الحديث عن السيطرة على الظرف من خلال العلم المُسبق بالأمور يأتي الحديث عن المعرفة كقوّة واجبًا. يتحدّث فوكو (فوكو، 1990) عن أن "القوة (بمفهوم قوّة السُلطة الحاكمة) باستطاعتها أن تنجح في بسط السيطرة على المعرفة، في حين أن المعرفة تستطيع بسط السيطرة لكونها تشكّل قوة".

يأتي قول فوكو مُتصلًا بسياق الأسر، حين ننظر إلى الأمر من خلال سيطرة السُلطة الحاكمة التي تملك القوّة على ما يُمكننا أن نعرف أو أن نجهل في ظروف مُعيّنة. بينما يُمكن لما نملكه من معرفة أن يُساعد على أن نُسيطر على هذه الظروف لأن المعرفة تُشكّل قوة، وتظهر قوتها على شكل سيطرة على الظرف.

فبحسب أسيرة (24، رام الله):

"كنت قارئة وعارفة عن الموضوع، يعني كل قصة الوعي لأساليبهم خلتني بالزبط عارفة شو بدهم من كل خطوة، وهدا الشي كتير ساعدني.. كيف أتعامل معهم، ساعدني أصمد في التحقيق.."

يأتي ذلك أيضًا في محاولة تفسير أقوال جزء من الأسرى الذين عبّروا عن صعوبة في التعامل مع تجربة الأسر والدخول إلى الأقسام من بعد أن كانوا قد اعترفوا خلال التحقيق معهم أو كشفوا معلوماتٍ عن زُملائهم. وأنه لو تغيّرت هذه النقطة لكانت تجربة الأسر بالنسبة لهم أقل وطأة بكثير. أو بحسب تعبير أحدهم (29، قرى رام الله):

"يعني الإشي الأساس في الحبسة إنك بتكوني مش مصدقة يخلص التحقيق عشان تنزلي من الزنازين على الأقسام وتعيشي مع الناس.. أو ترَوحي يعني. بس بدّك ناس.. فالصعب إنه بس تطلعي ع الأقسام يكون الكل عارف إنه اعترفتِ ونظرتهن إلك بتكونش.. زي واحد مش معترف.. مع إني اعترفت عند العصافير ... فكرته بجد القسم.."

وقد أفاد آخر عن تجربة شبيهة المعالم (26، مدينة القدس): "هلّأ أنا لو عارف إنهم عصافير أو بعرف إنه شي عن زي هيك أو محضرله قبل، ما كنتش بوقع هون".

يظهر من حديث هذين الأسيرين اللذين عبّرا عن مشاعر قويّة قد مرّا بها إزاء اعترافهما (وقد ظهرت بقوّة أيضًا على ملامح كل منهما) كالتعبير:

"صعبة.. وِلّا (أم ماذا– أي مؤكّدًا على صعوبة الأمر)" (طلب أن يخرج لشراء السجائر بعد أن اكتشف أنها قد نفذت منه، وعاد بعدها لاستكمال الحديث)، وقد أشعل الآخر سيجارًا قائلًا: "ندم.. بتحسي إنه أنا هلّأ سلّمت صحابي؟!... صرت ألوم حالي، لو إني انتبهت.."

تُفسّر نعومي كلاين (Naomi klein, 2007) في دراستها حول "عقيدة الصدمة"، عن سريان أثر هذه الممارسة على أنه مشروطٌ بالجهل بالظروف وبعد توقّعها، بقولها:

"إن عقيدة الصدمة كاستراتيجية تعتمد على جهلنا لها لكي تنجح. يُصبح هذا الأسلوب غير مُجدٍ عندما ينعدم وجود عامل المُفاجأة... نحن نتصدّى لهم، لن تنجح الصدمة لقد أصبحنا مُضادين للصدمات".

أما بشأن أهمية الرواية فهي تُضيف: "إذًا في فترة الصدمة.. هذه فترة مناسبة جدًا للتفكير بالتاريخ، والتفكير بالاستمراريّة وبالجذور، هي فترة مناسبة لموضعة أنفسنا في القصة الممتدّة لصراع البشريّة".

د) **المساواة بين أفراد التنظيم:**

تحدّث جزءٌ من الأسرى عن أهمية المساواة بين أفراد التنظيم من جهة المحاسبة، ذلك لتجنُّب ما أسموه بـ"التشهير والتستير" وقد تحدّثوا عن خطورة الامتيازات في الأسر– داخل الأقسام بين أفراد نفس التنظيم– والصعوبة التي تعوّضها أمامهم. ويرتبط وجود "عدم المساواة" هذا بكونه عاملٌ ينتقص من رمزيّة الأسر ويضرب الحِس النفسي المجتمعي للمجموعة من خلال إلغاء العامل العلائقي المُشترك بين جميع أفراد القسم، فلا يعود يعني ذات المعنى ولا يحمل النضال من خلال نفس الأهداف لجميع الأسرى فيه:

> "يعني بتحسي إنه في كل هاد الجو من التشهير باللي بعترف.. هي المشكلة إنه مش مع كل حد بيعترف يعني إذا فقير ما إلكش حد في التنظيم.. بتحس هاي الأشيا بتزيد يعني بدل ما يساعدوك، وانت أصلًا.. مخنوق من حالك، بتحسيهم بينهوك، بيخلصوا عليك..." وأضاف: "هلأ في ولاد ناس مهمين مثلًا بتلاقيهم بعترفوا، بس في تستير عليهم وبتعاملوا معهم عادي..".

تحدّثت رنا بكير في بحث أجرته في إطار رسالة الماجستير خاصتها عن "المصير المشترك" مقتبسة أنه من أهم العوامل التي كانت تحثّ الناس على الالتحام في فترة

الانتفاضة الأولى: "كلنا في الهوا سوا"، ذلك مقابل مظاهر من الفساد السياسي والامتيازات في ما لحق، والتي أدت لغياب هذا "المصير المشترك". وقد اجتمع هذا العامل، بحسبها، مضافًا إلى عوامل أخرى إلى تراجع بالحِس النفسي المجتمعيّ في المجتمع الفلسطيني (بكير، 2012).

قد تحدّث أسير (39، القدس) في ما يتعلقّ بموضوع انعدام المصير المشترك فيما يتعلّق بالأسرى من جانبين–

الأوّل هو انعدام المصير المشترك بين الأسرى وبين أقرانهم من نفس التنظيم أو التوجه السياسي خارج الأسر بقوله:

> "لما يكون في شباب مآمنين بالحالة التنظيمية اللي همّ امتداد إلها جوّا، وبعدها بكتشفوا إنه فش علاقة بين جوا وبرّا... بتشعر إنه فش استثمار لجهودك وإنه ما فش امتداد لحالتك وكأنها وقفت وكل يوم تسمع عن مؤتمر سلام شكل.."

وأضاف في الجانب الثاني عن الامتيازات في داخل السجون وانعدام المصير المشترك بين الأسرى أنفسهم في الأقسام:

> " ضربوا الإشي الجماعي بالنفس المناطقي والامتيازات تبع الأفراد والقيادات اللي بتمثل مناطق معيّنة... بعد الانتفاضة التانية صار يدخل مصاري... مصروف الأسير يفرق بحسب الفصيل وفترة الحكم... ومع كل الوضع برا صرت تحس حالك موظّف!.. مثلًا موضوع التليفون،

طب اللي بيملك الجهاز اليوم، أقوى من مسؤول كل التنظيم، إنت أصلًا مش لاقي حالك جوّا بدّك هالخيط اللي يوصلك مع برا، إلّلي يشعرك بقيمتك. هدا الموضوع خرّب كتير بالشي الداخلي وانعملت منظومة اقتصادية تانية، هدا التمايُز بين الغني والفقير".

الفصل السادس

التوصيات

بناءً على ما تقدّم من محاور تحليل ونتائج وما برز من خلال المقابلات التي أجريتها في إطار هذا البحث، أقدّم في ما يلي توصيات أجدها مُتصلة بمجالات متنوعة من واقع الشعب الفلسطيني:

- في مجال الأبحاث الأكاديمية:

ظهر موضوعان إضافيان لم يُقصد بحثهما بشكل مباشر في إطار هذا البحث، بحيث تبيّن وجود علاقة بين كُلٍّ منهما وبين استكمال الأسرى لمسار حياتهم بعد الأسر، يوصى التوسع في بحثهما مستقبلًا:

الأوّل: تبيّن أن هنالك علاقة بين تعامل الأسيراة مع الممارسات في فترة الأسر وبين المسار الذي يمضي به في حياته اليوم: ولذلك يبتعد اليوم عن العمل السياسي و ينحصر بتطوير مستقبله الشخصي، أو من خلال انعكاسات أخرى في حياة الأسرى بعد التحرر لفرض السيطرة وللانتاج كتحدٍّ للاستعمار: كالزواج، التعليم، العمل والانجاب. أي أن هنالك أثر لإدراك هذه الممارسات في نفس الأسير في حياته خلال الأسر، وبعد الأسر، لتقييمه لتجربة الأسر ولمدى انخراطه اليوم- بعد التحرر- في العمل السياسي أو الحياد عنه.

والأمر الثاني: والذي يوصى ببحثه لفهم أثره على تجربة الأسرى في الأسر- هو أثر التقسيمة المناطقية للأقسام في تجارب الأسر.

بحيث تتناول هذه الرسالة تجارب الأسر مع الافتراض لعيش الأسرى داخل أقسام تتبع لتنظيمات وأحزاب سياسية معيّنة. تبعًا لسياسات الاستعمار في ما يخص هذه التقسيمة، قد تم استبدالها في السنتين الأخيرتين، في جزء من السجون، إلى تقسيمة بحسب المناطق الجغرافية والبلدات. هنا بدأت تظهر وتطغى ظاهرة جديدة من الشللية والمناطقية في الأقسام، والتي لم يتطرق البحث التالي إلى أثرها على الأسرى، نرى أهمية لفحص أثرها، ذلك لكونها آلية تُبطل أثر التنظيمات في جعل هذه التجربة مُشكِّلة وتصنع نظام يومي كآلية لفرض الأسير لسيطرته على الوقت. كأقوال أسير (30، مدينة القدس): "يعني هاي قصة الشلليّة اليوم في الأقسام، طب أنت كيف بنفع تضبط اليوم نظام الأقسام، وتقسّم وظايف وتنتج إشي والأقسام صارت عبارة عن شلل، شلّة رام الله، وشلّة أبصر وين، وبدهمش هاد معهم عشان من منطقتهم.. يعني هاي الأمور ولا مرّة كانت".

– **لمراجعة الجامعات الفلسطينية:** من المُلفت أن لا تملك الجامعات الفلسطينية، وتحديدًا جامعة هي الأولى على مستوى فلسطين كجامعة بيرزيت مسارات تعليمية بديلة وآليات بديلة لتقديم الوظائف والامتحانات والبحوث الأكاديمية، تختلف مع هذه التقليدية، كاختبارات شفوية، والبحوث المُسجلّة أو المُصوَّرة.. وغيرها. حيث قد يتلاءَم ذلك مع احتياجات جزء كبير من طلاب الجامعة للتطوُّر في المسار الأكاديمي.

فبشكلٍ عام تكون الحظوظ الأكبر في التطوّر الأكاديمي ونشر الأبحاث وإنتاج المعرفة لأشخاص لديهم قدرة عالية على التركيز والكتابة لفترة مُمتدّة، والقدرة للتفرّغ لذلك. وقد لا يكون هؤلاء بالضرورة أصحاب الخبرة الأوسع في الشأن المبحوث.

في إطار مقابلات هذه الرسالة، قد عبّر عدد ليس بالقليل من الأسرى المحررين الذكور، بشكل غير مباشر، عن صعوبة في التركيز لفترة طويلة أو الجلوس في نفس المكان للكتابة لمدة طويلة، أو معظمهم يحتاج للعمل لساعات طويلة يوميًّا لإعالة نفسه وعائلته فلا يملك القدرة على تكريس وقتٍ طويل للكتابة.

وإن هذه الحالة قد تُشكِّل مثالًا حيًّا إلى كيفية إعادة انتاج الهيمنة على الخطاب الأكاديمي من قبل شريحة مُعيّنة فقط من الشعب، أو بمعنى آخر إعادة إنتاج الإقصاء لصوت المستضعفين من المجال الأكاديمي وإنتاج المعرفة.

عِلمًا بأن عددًا ليس بالقليل من طلاب الجامعات الفلسطينية هم من الأسرى المحررين، وقد راكم هؤلاء خلال تجاربهم بالأسر، خبرات ثمينة، وقد عايشوا تحدّيات مُكثّفة، التي يمكنهم نقلها كنتاج معرفي لهذه التجربة، على لسان أصحاب التجربة والمصدر الأول، إن أُتيحت أمامهم الفرصة لذلك.

كما ويمكن أن تفيد هذه الخدمة كافة الطلاب، الذين قد تختلف تفضيلاتهم وطرقهم في التعلُّم والإنتاج، على حدٍّ سواء.

- في ما يخص تعامل المجتمع مع الأسير بعد تتحرها من الأسر:

أ) تحدّث جزء كبير من الأسرى عن بعض الأمور التي تُميّز تعامل المجتمع المُحيط مع الأسير بعد تحرره، والتي قد تجعل أحيانًا فترة ما بعد التحرر إشكالية وأكثر صعوبةً بالنسبة لهمانّ.

وبحسب أسيرة (36، الجليل):

"تعامل المجتمع مع الأسرى بعد ما يروحوا، وتحديدًا الأسيرة كأنه إعادة للسجن الفعلي لكن في المجتمع- خارج المبنى الفعلي للسجن".

وكما يراه أسير (23، القدس):

"في تضارب بيلخبط. أحيانًا بخافوا عليك كأنّك إبن 10 سنين، وين رحت ووين جاي وشو أكلت.. ومرّات بحملوك مسؤوليات وقرارات كتير أكبر من شو انت بتعرف."

وبحسب ما يراه أسير (39، القدس):

"الناس بتتعامل مع الأسير بعد ما يطلع على إنه رايه مُلزِم، لإنه صاحب خِبرة. بيحاولوا أول ما يطلع يدخلوه في القرار في جوانب اجتماعية لحياة اللي حواليه، بعد فترة طويلة من العزل عن المجتمع.."، ويستكمل " بس واحنا جوا عم منخوض هاي التجربة، برا كان في تجارب اجتماعية وديناميكيّات عم تتطوّر وبسرعة وبغياب الأسير.. وإنت مش واعٍ قديش

الأمور تغيرت". يختم "تمنيت كتير لو كان عندي دعم خارجي أول ما طلعت.. بشعر خسرت كتير لأنه ما كان موجود".

تحدّث الأسير تحديدًا في هذا المثال عن أهمية وجود مرافقة له من أسرى آخرين أو عائلة أو أشخاص يساعدونه على فهم هذا الكم الكبير من التغيرات الحاصلة اجتماعيًا في الأساس، واستيعاب صدمته هو تجاه هذه التغييرات.

تتباين ردود الفعل تجاه الأسرى من قبل عائلاتهم والمجتمع المحيط بعد تحررهم من الأسر، بين اثنين: مَن يرونَ الأسرى بحاجة "لإعادة تأهيلٍ"، افتراضًا لكون هذه التجربة من الأسر قد سبّبت لهم ضررًا، والذي يجعل منهم اليوم "غير مؤهلين" للعيش في المجتمع. وفي الطرف الآخر مَن يرون الأسير كمِن يملك الأجوبة لكل شيء، للمسائل النضالية والساسية والاجتماعية وصاحب القرار الفصل فيها، وذلك تقديرًا لتجربته ولكونها قد أعطته الكثير من الخبرات.

وقد تأتي هذه الثنائية الحتميّة وغير الواقعية أو غير منطقيّة الحدوث في رؤية المجتمع للأسير، متفقةً مع ما يقدّمه مصطفى حجازي في ما يميّز المجتمعات المقهورة في بناء مواقفها من الأمور والذي هو نتاجٌ للاستعباد والاستغلال. فيطلق المجتمع المقهور أحكامه على الأمور من خلال ثنائيات حتميّة ولا يرى التوليفات والتركيبات المختلفة للأمور، أو الصورة بألوانها كاملةً (حجازي، 1985).

وربّما من المهم أن ننظر كمجتمع إلى تجربة الأسر بنظرةٍ شموليّة بعيدًا عن الثنائيات التي قد تُفقد الأسير انسانيته. ففي سياق مُكثّف من الاقتصاد في الحيّز والموارد، مُقابلان بقمعٍ

ومواجهة مباشرين مع السجّان، من الطبيعيّ أن تتغير السلوكيّات الجسديّة للأسير وتصبح مُغايرة عمّن يعيشون خارج تجربة الأسر.

ولا يجوز عمليًا التعامل مع هذه السلوكيّات على أنهم بحاجة لإعادة تأهيل، لأن ذلك يفترض ضمنًا أن سلوكيات من هم خارج الأسر هي السلوكيّات "السويّة"، وذلك قد لا يكون بالضرورة صحيحًا.

حيث يقول مصطفى حجازي في هذا الصدد "..من يثور لا يكتئب، ومن يكتئب فهو عاجز عن الثورة أو محروم منها. ابتلاع الغضب والحنق يتحول إلى اكتئاب...".

وقد يتفق هذا بشكلٍ كبير مع ما جاء في أقوال أسير (27، البيرة):

> "بتطلّعوا علينا كإننا بحاجة لإعادة تأهيل، بس أنا بفكّر إنه هم بحاجة لإعادة تأهيل لأنهم عم بنسوا الأسرى. كيف بدّك الأسير ينسى اللي عاشه؟ يشوف الغلط ويبقى ساكت عنه؟ وهو أصلًا انسجن عشان ما بيعرف يسكت عن الغلط."

يأتي هذا بينما تعرض هذه الرسالة في ما يتعلّق بالحِس النفسي المجتمعي المرتبط بالتضحية والبَذل، وأيضا بالجَلَد عند الأسرى وتخطّيه إلى الإنتاجيّة، وكيف تسهم هذه العوامل في صياغة فهم الأسير لتجربته وفي صيانة وحفظ الأسير نفسيًا.

ب) من الجليّ بأن تجربة الأسر هي ليست تجربة التي من الممكن أن تُدرج ضمن مسار حياة الأفراد لدى تخطيط أي فرد لحياته، بل هي أمر يكون مفاجئ وغير مخطط ضمن مسار

الحياة، الذي يعزل الأسرى عن المسار المخطط لفترة، طالت أو قصرت، ومن ثم يعيدهم إلى مسار حياتهم في حين تكون معطيات هذا المسار قد تغّيرت والظروف العامة المحيطة به، والأسير/ة نفسه/ا.

إن هذا الحدث الصادم أو غير المتوقع في مجرى حياة الفرد غالبًا ما يضرب الربط الموجود لديه بين فهمه للأحداث الحاصلة أي أفكاره تجاهها وبين مشاعره تجاهها. أن نقله لواقع آخر (السجن) وإعادة صدمته بالواقع الجديد بعد التحرر قد يشوش لديه بشكل جدّي إدراكه للأحداث والذكريات ومشاعره تجاهها أو فهمه لها.

في هذا الصدد أرى أهمية في توظيف علم النفس الروائي لتحقيق تماسُك أكبر في الرواية الشخصية لكل من الأسرى، تشمل لحظات الأسر وحياته قبلها وما بعدها، ويساعد الأسرى بعضهم من خلال مجموعات كهذه على التعامل مع التغيرات الخارجية من خلال تبادل التجارب والخبرات.

إن ما تُقدِّمه الرواية الشخصية أو السرد الشخصي في هذا المجال هو عمليًا امكانية إعادة الربط بين الفهم لهذه الأحداث أو الذكريات وصياغتها برؤيته لها اليوم، وملاءمة مشاعره لها. تأتي أهمية السرد "لأن له آثار في عملية التفاعل الاجتماعي، لا تقدّمها أي من الآليات الأخرى التي تحمل نفس مبدأ "النظر إلى الوراء، والتطلع إلى الأمام. والتي يبني من خلالها الأفراد والمجموعات هويّات لهم". (Riessman, 2008)

وقد طوّرت يوفال ديفيس هذه النقطة، بحيث تحدّثت عن دور الراويات الأساسي في بناء الهوّيات: "إن الهويات هي الروايات، القصص التي يحكيها الناس لأنفسهم وللآخرين، حول مَن هُم– من يكونون (ومن هُم ليسوا– من لا يكونون)".

وتضيف بأن الهوية سائلة، "دائماً تنتج نفسها من خلال العمليات المشتركة للوجود والانتماء، والتوق للانتماء. تنعكس هذه الازدواجية في كثير من الأحيان على سرديات الهوية."

ويؤكد ريسمان أن:

> "غالبًا ما تخدم الروايات أغراضًا مختلفة للأفراد أكثر مما تخدمه لدى المجموعات، بالرغم من وجود بعض التداخل بينهما. فيستخدم الأفراد الشكل السردي للتذكُّر، أو لمناقشة ومحاججة الذات، أو للتبرير، أو الإقناع، أو الانخراط والارتباط، أو الترفيه، أو حتى لتضليل الجمهور. تستخدم المجموعات القصص لحشد الآخرين، ولتشجيع الإحساس بالانتماء."

أما في الجوانب العلاجية للرواية، يتحول الأفراد إلى السرد للتنقيب وإعادة تقييم الذكريات التي قد تكون مجزأة أو فوضوية أو لا تُحتمل، و/ أو نادرة الظهور قبل سردها. وهناك بالطبع علاقة معقدة بين السرد والوقت والذاكرة لمراجعتنا وتحرير التجربة الماضية التي نقوم بتذكرها، للتوافق مع هوياتنا في الحاضر. بطريقة تفاعلية، يشكل السرد تجربة الماضي في نفس الوقت الذي يوفر طرقًا للأفراد لفهم الماضي. والقصص يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار

السياق لروايتها، لأن رواية القصص تحدث في لحظة تاريخية مع خطاباتها المتداولة وعلاقات القوة السائدة فيها (Riessman, 2008).

وفي هذا الصدد، قد عبّر الجزء الأكبر من الأسرى بعد إنتهاء المقابلات عن شكرهمان الشديد على هذه الفرصة ولاهتمامي بقضية الأسرى وبقصصهم، بحيث قال أحدهم حين رفض أن أدفع أنا الفاتورة (مقابل كأسين من الشاي)، حيث عقدت مقابلتنا في مقهى:

"لأ خليني، هدا أقل إشي ممكن أعمله عشان أحكيلك شكرًا ولكل الأساتذة المهتمين بقضيتنا.. كتير بيسعدنا نسمع إنه لسه في ناس مهتمين بالأسرى وقصصهم".

وقال آخر: "شكرًا لاهتمامك تسمعي قصصنا وتعطيها من وقتك". كما وعبّرت عن ذلك أخرى بعد أن قمتُ بشكرها على وقتها ومشاركتها: "شكرًا إلك إنت عشان مهتمة تكتبي عنا وعن قصصنا... بتعرفي الواحد بيحس غير لما يحكي هيك قصته.. ذكرتيني بمواقف وبناس زمان عنهم (مع ابتسامة واسعة)".

جعلت هذه التعليقات الباحثة تُفكِّر بالأهمية التي تحظى بها فكرة أن قصص الأسرى هي محطّ اهتمام لدى أبناء شعبهم، وأنها تُسمع ويُكتب عنها. لم تستطع الباحثة تحديد أي العوامل تحديدًا هو ما يُسبب هذا الشعور بالامتنان أو الراحة أو السعادة، لورود ملاحظة الامتنان هذه في نهايات المقابلات وقد انتبهت إليها الباحثة في وقتٍ لاحقٍ لإتمام المقابلات. لكن يمكن في هذا السياق التفكير في عدّة عوامل مقترحة، لمحاولة فهمها في

أبحاثٍ مستقبلية في سياق الأسرى الفلسطينيين تحديدًا، التي من الممكن أن يُسهم أحدها أو كليها معًا في أن تكون سببًا لهذه المشاعر:

- عامل السرد كآلية لصياغة وترتيب أحداث رواية الفرد، ما قد يُشعر بالتحامٍ أكبر للذات الراوية وصاحبة التجربة. إضافة لكون فعل السرد يتضمنه تدّخل وسؤال من المستمع، عن كيف كان أسلوب التعامل للأسير؟ مما يفترض ضمنًا ويُعوّض في الرواية وجود فعلٍ مواجهٍ للأسير\ة ولا يُبقيه\ا في مكانة السلب أو استلاب الفعل، فلا تتحكم به الأحداث، بل هو أيضًا صانعٌ/ة لبعضها أو مشارك\ة في صنعها.

- كَون المجتمع الذي قدّم هؤلاء الأسرى والأسيرات تضحياتهم لأجله، ما زال مهتمًا بهم\ن وبتجاربهم\ن ويُعطي لها وزنًا في كتاباته وأبحاثه، مما قد ينم عنه الشعور بالتقدير.

تِبعًا لما سبق تأتي توصيتي هذه بعقد مجموعات خاصة تجمع الأسرى، والتي يتم خلالها استخدام أسلوب علم النفس الروائي. بحيث يصيغ الأسرى والأسيرات رواياتهم المختلفة ويروونها، كما وبالإمكان أن يتشارك هؤلاء الأسرى والأسيرات في صياغة روايتهم الجماعية. إضافةً إلى ما سبق، تأتي هذه التوصية أيضًا اعتمادًا على المُعطى بأن لسرد الرواية قدرة كبيرة على التحفيز والتعبئة.

فبحسب ريسمان (Riessman, 2008):

> "يمكن لسرد الروايات أن تُعبئ الآخرين للعمل من أجل التغيير الاجتماعي التقدميّ. فقد وُلدت في القرن العشرين حركات تغير اجتماعي كُبرى مُتحديّة للقمع (بما في ذلك الحقوق المدنية والحركات النسوية)،

عندما كان الأفراد يجلسون معاً ويروون قصصاً عن لحظات صغيرة من القمع. بحيث أدت القواسم المشتركة في التجارب المختلفة إلى تكوين جماعة وتمهيد الطريق للعمل الجماعي."

كما وتحدّث ريسمان عن دور هذه القصص والروايات في تشكيل الحركات الثورية في أمريكا اللاتينية.

الفصل السابع

سيرورة كتابة الرسالة والصعوبات أو المعيقات التي واجهها البحث

في الجانب الشخصي لتجربة الباحثة:

قد لا أبالغ في قولي، حين أنظر إلى تجربتي الشخصية في إجراء وكتابة هذا البحث، أني أرى في نفسي إنسانةً تختلف بالقدر الكبير جراء خوض هذه التجربة والانكشاف إلى تجارب وخبرات الأسرى والأسيرات.

بدأت التخطيط والتصوُّر لكتابة هذه الرسالة لدى بَدءي الدراسة في درجة الماجستير. التي تصوّرتُ في بدايتها اني أريد أن أبحث الأثر النفسي للاعتقال والتحقيق الذي تخلفه ممارسات الاستعمار، بمفهوم "الانتهاكات"*[26] لدى الأطفال الفلسطينين، تحديدًا في القدس المحتلة. جاء ذلك، بعد عملي كمُدرِّسة في مدرسّة في بلدة شعفاط، وملامسة واقع الأطفال هناك والصعوبات التعليمية والاجتماعية التي يعانون منها جراء تجارب الاعتقال والقمع المتكررة أثناء لقائهم– مواجهتهم لجنود جيش الاحتلال في مدينتهم الأمّ.

[26] *ما تنتهكه هذه الممارسات من المواثيق والقوانين الدوليّة، التي تم إقرارها بهدف حماية حقوق الطفل والإنسان.

من بعد الإقتراب إلى واقع هؤلاء الأطفال والشباب المقدسيّن، كان من الغريب بالنسبة لي كيف أنهم يستطيعون تحمُّل كل هذا، أو أن يبقوا كائنات سليمة أو غير مختلّة عقليًّا على أقل تقديرٍ. دفعني ذلك إلى أمرين:

الأول كان التوصُّل إلى المغزى بأن ما يترك وقعًا صعبًا عليّ من قصصٍ وأحداثٍ صعبة أو أتوقع أنها من الجدير أن تترك في نفس صاحبها أزمة صعبة أو تُخلّف ضررًا حتميًّا به – ذلك، على الأقل، بحسب ما تُمليه عليّ معرفتي وخبرتي القليلة في مجال التطوُّر النفسي في مدارسه الكلاسيكيّة، أو حدسي المُتأثِّر بهما لا محالة– هي أمر قد لا يُشكِّل بالضرورة أزمة أو ضرر حادّين لدى صاحب هذه التجربة، أو ليس بالقدر الحاد والصعب اللّذين تمليهما النظريّة.

ذلك ما جعلني أُدرك أيضًا أن ما يعتبره أو يُعرّفه القانون الدوليّ على أنه "تعذيبٍ أو انتهاكٍ" لأعرافه، ليس بالضرورة ما يراه أهل المكان تعذيبًا أو انتهاكًا بحقِّهم. نتاجًا للأمر السابق كان الثاني: وهو دَفْعي إلى محاولات حثيثة لفهم هذا الواقع – الغريب بالنسبة لي كشابة قد أمضت الجزء الأكبر من حياتها في الجليل وتشبعت من النُظم التعليمية والهيمنة الفكرية للمؤسسة الاستعمارية هناك، وقضت سنوات تعليمها الجامعي الأولى في مستعمرة "تل– أبيب"–، ما الذي يدفعهم للتحمّل إلى هذه الدرجة التي يبدو لي وجودها مستحيلًا؟ ما الذي يجعلهم يصمدون أو يحصِّنهم من الإنهيار أمام هذه التجارب؟

عن الصعوبات والمعيقات لإجراء البحث وما يسّر إتمامه:

- واجهت بدايةً صعوبة في الوصول لأسرى في منطقة الضفة الغربية، لكوني غير معروفة للأسرى\ الأسيرات المحررين\ات في المنطقة كما وقد كانت لهجتي تثير الريبة أحيانًا لدى البعض، لكوني من المناطق المحتلة عام 1948، فأُهاتفهم لتعيين مقابلة فيتخلفون عن الحضور أو يقومون بتأجيلها في اللحظة الأخيرة. يأتي أغلب الظن أن ذلك بسبب محاولات اسقاط سابقة، جرت على نحوٍ شبيه.
- تفهمت وأتفهم هذا التخوُّف، وأقدره جزيلًا لما يحمل من قوّة الرغبة في حماية الذات، ولتخطي هذه الإشكالية لقد قمت بالوصول إلى المُقابَلين من خلال أسرى\أسيرات سابقين\ات أبناء وبنات المنطقة والذين طلبت منهم محادثة المُقابلين الجدد مُسبقًا لفتح قناة للتواصل، ولم قم بالاعتماد فقط على أن يدلونني عليهم\ن.

– مُعيق الآخر (والمتعلِّق بالأول)، هو آلية التسجيل الصوتي لتوثيق المقابلات. ربّما بسبب الشعور "بعدم الثقة" تجاهي كباحثة غريبة آتية من منطقة جغرافية أخرى، قد دفعني هذا للتقليل إلى الحدّ الأدنى من الأمور المشوّشة (أي حد أدنى من استخدام الأجهزة الإلكترونية– لا أضع هاتفي على طاولة المقابلة أو أمام المُقابَل). إن عدم التسجيل بات يجعلني فعلًا أكثر راحة من فكرة وعبء "أنني أحمل تسجيلات صوتية" يتحدّث فيها أسرى عن قصص شخصية ومشاعر صعبة". وقد اعتمدتُ تسجيل وتدوين كل ما أستطيع تدوينه في وقت المقابلة أقرب إلى الحرفية، وحين لم أستطع ذلك، لعدم سماح الموقف (لورود نقاط حساسة تستدعي تواصلي البصري مع المُقابَل\اة مثلًا،

أو لانشغالي بلغة الجسد المُقابِلة كونها لفتت انتباهي لاتصالها بالنقطة الواردة..)، كنت أقوم في هذه الحالات بتسجيل الأمور الأساسية أو كلمات مفتاح أو أقتباسات قليلة خلال المقابلة، وأبدأ مباشرةَ بعد إنتهائها بتوسيع الملاحظات وكتابة سياق ورود كل من كلمات المفتاح والاقتباسات المختلفة.

- أعي كباحثة بأن هذا معناه أنني أُسقِطتُ خياراتي الشخصية على المقابلات من خلال اختيار المضامين التي تُدوّن، الخيارات التي من الممكن جدًا لها أن تُغيّب مضامين أخرى كان من الممكن أن تدَوَّن مكانها، ولهذا ارتأيتُ أن أذكر هذه الملاحظة هنا في متن الرسالة، حيث من المهم والواجب أن يعي القارئ انه لم تتم تسجيل غالبية هذه المقابلات صوتيًا وأنها قد خضعت لذاكرة الباحثة. وبهذا يكون قد تمّ إعتماد المقابلات العشر الأولى على أنها مفتوحة لاختيار المضامين المتكررة لبحثها (وهذا ما حصل)، أمّا المقابلات الأخرى اللاحقة فقد كان التوجُّه نحو التركيز خلالها على المحاور التي تم اختيارها للبحث (التي برزت في المقابلات العشر الأولى)، في حين تم الإبقاء عليها مفتوحة وتشديد الانتباه لورود أو لتكرار أي من المعطيات والمضامين التي تتناقض مع أو تُضيف لكل ما سبق من محاور.

صعوبة ثالثة كانت قدرة الأسرى التلقائية على التعبير عن مشاعرهم:

لم تَرِد مشاعر الأسرى في حديثهم بشكل تلقائي بل تمّ سؤالهمان عنها في غالب الأحيان، في نهاية سردهم لتجربتهم في الأسر، تم التوقف عند عدد من الأحداث، وسؤالهمان: "هل تستطيعاين تذكّر ماذا شعرت حينها؟"

ووضع ذلك الباحثة أمام معضلة أخلاقية جِديّة. هل يلزم فعلًا الحديث عن المشاعر؟ ماذا لو جعلتهم تسمية هذه المشاعر وتذكرها، يعيشونها من جديد؟

لوعي الباحثة لأهمية الرواية واستكمال صور الأحداث من خلال ربط الأحداث بالمشاعر، مما قد يعود أيضًا على الأسرى بالفائدة، ارتأت الباحثة التالي:

أولًا: عدم الإصرار على الحصول على إجابة لهذا السؤال، فقط السؤال بلطف ولمرة واحدة عن "الشعور الذي انتابها في قتها"، وعدم تكرار هذا السؤال والاكتفاء بالإجابة مهما كانت.

ثانيًا: إلحاق هذا السؤال، بالسؤال حول "كيف تعاملت مع هذا؟" للاستيضاح حول طريقة تعامل الأسرى في هذا الموقف العيني أو مقابل هذا الشعور، ولتوجيه الأسرى لتذكُّر والوصول إلى أفكار تُكمّل لديهم صورة الحدث، وتضعهم في مكان الصانع وتخرجهم من مكانة الـ"لا حول ولا قُوّة".

المراجع:

المواد التحليلية المكتوبة:

-أبو دَقّة، وليد (2010). "صهر الوعي: أو في إعادة تعريف التعذيب". الدار العربية للعلوم ناشرون- مركز الجزيرة للدراسات.

-رسالة الأسير عبد الله البرغوثي يوم 28.01.2017 من سجن الجلبوع، وقد نُشرت في ذات التاريخ على صفحته الرسمية على موقع فيسبوك، والتي تديرها عائلته.

-رسالة الأسير بلال عودة بعنوان "سحل الأحياء" من سجن النقب الصحراوي، والتي نُشرت بتاريخ 21.02.2017 في الموقع الإلكتروني لشبكة قدس الإخباريّة. https://www.qudsn.ps/article/112644

-رسالة الأسير بلال عودة إلى أمه بمناسبة عيد الأم من سجن النقب الصحراوي 21.03.2017

-كتاب "وجدتُ أجوبتي- هكذا تكلم الشهيد باسل الأعرج"، عن عامل رمزية الارتباط "بقضية سامية"، بحسب تجربته النضالية كناشط وكأسير سابق لدى السلطة الفلسطينية وكمُطارد. إصدار دار رئبال، القدس- فلسطين. 2018.

المراجع الأدبيّة بالعربية:

الزريعي، عابد. (2012). **جماليات النموذج الإنساني والسياسي في الأدب الشعبي الفلسطيني**. دار حنين للنشر، تونس.

الزريعي، عابد. (2013). حين يُقرر الأسير الفلسطيني المحرر الانتحار حرقًا [النسخة الإلكترونية]. **بانوراما الشرق الأوسط**. http://www.mepanorama.net/311372

المصدّق، حسن. (2007). البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة– 2 [النسخة الإلكترونية]. **مجلة *العرب الإلكترونية*** العدد 11، القسم الثقافي.

النقيب، فضل. (2006). **مفهوم رأس المال الاجتماعي وأهميته بالنسبة للأراضي الفلسطينية المحتلة**. معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني – ماس، فلسطين.

بدارنة، هديل. (2015). ما وراء قضبان الأسر الاسرائيليّ : بين "الجنسي" و"السياسي" [النسخة الإلكترونية]. **مجلة جدل**، العدد الرابع والعشرون/ أكتوبر. إصدار مدى الكرمل.

بورديو، بيير. (2007). **إعادة الإنتاج: في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم**. ترجمة: ماهر ترمش. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

بيك، آرون.(2000). **العلاج المعرفي السلوكي والاضطرابات الانفعالية**. ترجمة: عادل مصطفى. القاهرة: دار الآفاق العربية.

دعنا، طارق (2014). الرأسمالية الفلسطينية المتمادية. ورقة سياساتيّة في داخل **المجلة الإلكترونية شبكة السياسات الفلسطينية**.

دولوز، جيل. (1987). **السلطة والمعرفة– مدخل لقراءة فوكو**. ترجمة: سالم يفوت. المركز الثقافي العربي، لبنان والمغرب.

حجازي، مصطفى (1985). **التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور**. المركز ثقافي العربي. بيروت، لبنان.

صفدي، مطاع (1990). **تقديم كتاب "المراقبة والمعاقبة– ولادة السجن"**، ترجمة علي مقلّد. مركز الإنماء القومي، بيروت. ص31–43.

عبد العظيم، حسني (أيلول، 2011). ذاكرة الجسد وذاكرة المجتمع [النسخة الإلكترونية]. **مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي**.

عبد العظيم، حسني (2011). "الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي: قراءة في سوسيولوجيا بيير بورديو" [النسخة الإلكترونية]. منشور في **مجلة *إضافات*(المجلة العربية لعلم الاجتماع)**، العدد 15.

فرانكل، فيكتور (1982). **الإنسان يبحث عن المعنى: مقدمة في العلاج بالمعنى– التسامي بالنفس**. ترجمة: منصور، ط. دار القلم، الكويت.

فَنّون، محمود (1982). **فلسفة المواجهة من وراء القضبان**. فلسطين.

فوكو، ميشيل (1990). **المراقبة والمعاقبة– ولادة السجن**. ترجمة: علي مقلّد. مركز الإنماء القومي، بيروت.

كنفاني، غسّان (1968). **الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948–1968**. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

نيتشيه، فريدريك (1882). **العلم المرح**. ترجمة: حسان بورقية ومحمد الناجي، دار أفريقيا الشرق.

مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية والانتماء (تموز، 2016). " التعذيب الجسدي والنفسي للأسرى والمعتقلين". الجزء 1 من أصل 8، من نشرة *دراسة حول انتهاكات الاحتلال الصهيوني للأسرى والمعتقلين*.

المراجع الأدبية بالانجليزية:

1. Bourdieu, Pierre. 1977. *Outline of a Theory of Practice*. Cambridge University Press.
2. Bourdieu, Pierre. 1990. *The Logic of Practice*. Polity Press.
3. Burton, Mark. 2012. "Liberation Psychology: a constructive critical praxis". Extended version of keynote talk given at the Third Critical Psychology Symposium, Diyarbakır, Turkey, 15-16 September.
4. Charmaz, Kathy. 2000. "Grounded Theory: Objectivist and Constructivist Methods". In Denzin N.K. and Y. S. Lincoln (eds) *Handbook of Qualitative Research*, second edition. London, Sage Publications.
5. CIA. "KUBARK Counterintelligence Interrogation". July 1963 (released January 1997), Part 1 (pp. 1-60)- Part II (pp. 61-112)- Part III (pp. 113-128)
6. Connerton, Paul. 1989. *How Societies Remember*. Cambridge [England]; New York: Cambridge University Press.
7. Deci, E., & Ryan, R. (Eds.). 2002. "Handbook of self-determination research". Rochester, NY: University of Rochester Press.
8. Fanon, Frantz. 1963. *The Wretched of the Earth*. Translated by Constance Farrington. New York: Grove.
9. Freire, Paulo. 1993. *Pedagogy of the Oppressed*. New York, Continuum.
10. Freire, Paulo. 1998. *Pedagogy of freedom: ethics, democracy and civic courage*. Lanham,

11. Gramsci, Antonio. 1971. *Selections from the prison notebooks of Antonio Gramsci*. London: Lawrence & Wishart.
12. Klein, Naomi. 2007. *The Shock Doctrine: The Rise of Disaster Capitalism*. Knopf Canada (first edition), Canada.
13. Maslow, Abraham. 1943. "A theory of human motivation". Psychological Review. 50 (4): 370–96.
14. Mcmillan, D., & Chavis, D. 1986. Sense of community: a definition and theory .*journal of community psychology*, 14, p 6-23.
15. Meari, Lena. 2014. "Sumud: A Palestinian Philosophy of Confrontation in Colonial Prisons". Published in *South Atlantic Quarterly*. Volume 113, Number 3: 547- 578.
16. Naidoo, Anthony. 1996. "Challenging the hegemony of Eurocentric psychology". *Journal of Community and Health Sciences*, 2(2), 9-16
17. Nowell, Boyd. 2010. "Viewing community as responsibility as well as resource: deconstructing the theoretical roots of psychological sense of community". *Journal of Community Psychology*, Volume 38, Issue 7, September: Pages 828–841.
18. Orford, Jim. 2008. "Community Psychology: Challenges, Controversies, and Emerging Consensus". *School of Psychology The University of Birmingham*, UK.
19. Powell, Jason. 2002. "Archaeology and Genealogy: Developments in Foucauldian Gerontology". *International Journal of linguistics society & culture*, Issue 11.

20. Riessman, Cathrine. 2008. “Narrative methods for the human sciences”. *Thousand Oaks, California: Sage Publications*. Chapters 1, p.8
21. Rose, Sonya. 1986. “‘Gender at Work’: Sex, Class and Industrial Capitalism”. *History Workshop Journal*, Volume 21, Issue 1, 1 March, Pages 113–132.
22. Rowman & Littlefield Publishers.
23. Samarah, Adel. 2011. “Non-Governmental Organizations and Civil Society between Dispossession and Distortion of Role to Integration: The Dialectic of National Liberation and Social Construction”. Paper presented at the Bethlehem University conference, June 3.
24. Scott, John. 2011. Conceptualising the Social World, Principles of Sociological Analysis. Cambridge University Press, New York. P.219
25. Solomon, Philip. et al. (eds.). 1961. Sensory deprivation. Harvard U Press
26. Throop, J. &, Murphy, K. 2002. “Bourdieu and Phenomenology: a Critical Assessment”. *Anthropological theory*, Vol.2. No 2.
27. Yuval-Davis, Nira. 2009. “Women, Globalization and Contemporary Politics of Belonging”. *Gender, Technology and Development,* vol. 13, 1: pp. 1-19.
28. Zubek, John. (Ed.) 1969. *Sensory deprivation: Fifteen years of research*. Appleton Century Crofts.

الملحق:

المعطى 1:

"فيحاول (يقصد الاستعمار) وبكل الوسائل القذرة كسر عزيمة الاسير ،لكن ايمان الاسير بعدالة قضيته وقضية شعبه الذي يتنظر انتصاره يجعل منه كتلة صلبة عصية على كل محاولاتهم البائسة لكسره"

من محاضرة الاسير المحرر بلال الكايد والتي نظمها ملتقى نبض الشبابي ضمن سلسلة من الفعاليات التي تنظم دعماً للأسرى في إضرابهم عن الطعام، وذلك في تاريخ 25\04\2017

المعطى 2:

".. من جهتي أدعو للتضامن بكل طريقة ممكنة، ما تنسوا الأسرى.. هدول ناس أخدوا على عاتقهم إنهم ما يعيشوا في ذُل."

من رسالة الأسير رائد أنضوني المصورة بتاريخ 28\04\2017- خلال حملة إضراب الكرامة لدعم الأسرى الفلسطينيين في إضرابهم عن الطعام والذي بدأ بتاريخ 17\04\2017

المعطى 3:

"اليوم هو أوّل أيام معركة الدفاع عن كرامتنا..

ووقود هذه المعركة هم طليعة أبناء شعبنا الذين يدافعون بأمعائهم الخاوية عن كرامتنا جميعًا اليوم الأول من الإضراب هو اليوم الأصعب، فالامتناع عن تناول الطعام والشراب يكون له أثر كبير في الأيام الثلاثة الأولى وما يميّز اليوم الأول هو الإجراءات التي تتخذها إدارة السجن، فهي تقوم بمصادرة مقتنيات الأسرى لتبقي الحد الأدنى من الملابس فق، وإخراج محتويات الغرف يكون بصورة همجية واستفزازية تتلف الكثير من مقتنيات الأسرى التي جمعوها عبر سنين الأسر وهي ذات قيمة كبيرة لأنها تسهّل حياتهم اليومية، إضافة إلى حملات نقل الأسرى بين الغرف والسجون ولا يعرف أيّ منهم أين سيكون آخر هذا اليوم ليفقد رفاقه والمكان.. تبدأ رحلة الصمود والإرادة ليتغلب أولًا على نفسه ويتحدّى رغباته واحتياجات جسمه للفوز بكرامته وللوصول إلى نصر يجلب له العيش بكرامة. كلنا معهم فهم ضميرنا."

كتبها الأسير السابق لؤي عودة، ونشرها بتاريخ 17\4\2012 ، على صفحته الشخصية في موقع فيسبوك. وقد صادف هذا اليوم، يوم الأسير الفلسطيني والذي بدأ به إضراب للأسرى.

المعطى 4:

"الانتظار

ترى رفاقَ دربك وأصدقاءَك يُضربون بالغاز وتنهال عليهم الهراوات ويُسحلون أمامك، وكل ما تفعل لا يوقف ذلك. وفي نفس الوقت تنتظر دورك. كنت أتمنى أن يأتي دوري بسرعةٍ، فلسخرية الأمور أتمنى أن أقذف بالغاز وأن تنهال الهراوات على رأسي، فرؤية الشيء

وانتظاره أصعب من أن تكون المستهدف. إنه ألمٌ مركب ومعقد جدًا لدرجةٍ تُصعِّبُ شرحه والحديث عنه. كنت أرى كيف سيصبح وضعي بعد دقائقٍ، كيف سيكون المنظر من بعيد، في كل مرةٍ يضرب فيها مناضلٍ يكون ضربًا لي، بالتالي كنت أتعرض للاعتداء عشرات المرات قبل أن أتعرض فعليًا له. كنت أتألم في كلِّ لحظةٍ مئات المرات على ألم أحبائي، قبل أن أتألم على نفسي، نعم إنه الألم الذي لا يشفيه مَرهَم العالم كلّه."

ورد في مقال "سحل الأحياء" للأسير بلال عودة، والذي نُشر في الموقع الإلكتروني لشبكة قدس الإخباريّة بتاريخ 2017\02\21. يصف في مقاله شكل "القمعة" (أي عملية القمع، كما تأتي على لسان الأسرى)، التي طالته ورفاقه وزملائه في الأسر ويشرح خلالها عن محطّات عاشها في هذا الحدث. يأتي هذا الاقتباس من المحطة الأولى- "الانتظار".